سلسلة الدروس السلفية في الدورة القرعاوية
(١)

طريق الوصول إلى إيضاح الثلاثة الأصول

لفضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

جمع وإعداد
فواز بن علي بن علي المدخلي

مكتبة الفرقان
تليفون : ٠٦-٧٤٤٤٤٣٥ / فاكس : ٠٦-٧٤٢٤٠٩٤
ص.ب : ٢٠٢٨٨ - عجمان - ا.ع.م.
E-mail : furqan1@emirates.net.ae
www.furqan1.com.ae

ⓙ زيد محمد بن هادي المدخلي ، ١٤٢١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المدخلي ، زيد بن محمد بن هادي
طريق الوصول إلى إيضاح الثلاثة الأصول - صامطة .
٢٤٩ ص ، ٢٤ سم
ردمك : ٦-٧٢١-٣٨-٩٩٦٠
١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ٢١ / ٤٧٥٠

رقم الإيداع : ٢١/٤٧٥٠
ردمك : ٦-٧٢١-٣٨-٩٩٦٠

١٤٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد فإن هذا الكتاب المسمى بالثلاثة الأصول من خير الكتب في العقيدة لطالب العلم يستوي في الحاجة إليه المبتدئ والمتوسع في العلم، معنى ذلك أنه لا يستغني عما حواه من شرح العقيدة الإسلامية وبيان مايضادها أحد من طلبة العلم بل ولا أحد من المسلمين المكلفين فهو جدير بالحفظ وفهم المعنى، وجدير أيضاً بالمعلمين والمربين لاسيما في مسائل الاعتقاد أن يكون البدء به في معرفة عقيدة الإسلام قبل أي كتاب آخر يبتدئ به ثم بالقواعد الأربع وكشف الشبهات وكتاب التوحيد [١] ثم بعد ذلك العقيدة الواسطية ثم الحموية ثم التدمرية [٢] فالطحاوية [٣]، وهكذا كتب السنة بعد ذلك التي هي ضمن السنن أو كتب السنة التي صنفت على انفراد وهذا إن شاء الله تعالى من طالت به الحياة وهو في طلب العلم فسيجد هذه الكتب أمامه في المستقبل بحول الله وقوته.

[١] وقول المصنف رحمه الله ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [٤] البدء

[١] وثلاثتها للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

[٢] للإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

[٣] للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي رحمه الله.

[٤] قال ابن جرير (وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة وكذا معظم كتب الرسائل) الفتح ١ / ١٤.

بالبسملة والحمدلة: هذا من حسن الأدب ومن الفهم من المؤلفين للأسباب التي تكون فيها قضاء الحاجات. وفي الحديث الثابت عن النبي ﷺ أنه قال: (كل أمر ذي بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع) [١] أي: قليل البركة، فإذا قلت: بسم الله أو قلت: الحمد لله وشرعت في موضوع ما فقد سلكت مسلك العلماء في الأدب عندما يريد أحد أن يؤلف تأليفاً أو يكتب خطاباً أو ينسج خطبة ونحو ذلك يبدأ بذكر الله ويثني بالصلاة والسلام على رسول الله ثم بعد ذلك يشرع في المقصود وعلى هذا مشى الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الذي ألف هذا الكتاب لأنك إذا قلت (بسم الله الرحمن الرحيم) أي أبتدئ عملي هذا وتأليفي متبركاً باسم الإله المستحق للألوهية وحده دون سواه الموصوف بصفات الكمال والجلال ومنها صفة الرحمة العامة وصفة الرحمة الخاصة، صفة الرحمة العامة التي دل عليها قوله تعالى ﴿الرحمن﴾ وصفة الرحمة الخاصة بالمؤمنين التي دل عليها قوله تعالى ﴿الرحيم﴾.

ثم شرع المؤلف في المقصود وافتتحه بصيغة الأمر

[١] أخرجه ابن حجر في الفتح ١ / ١٣ والسيوطي في الدر المنثور ١ / ٣١و٣٥ وقال عنه: حسن قال النووي: ((قال أصحابنا: يستحب أن يذكر اسم الله تعالى على كل أمر ذي بال، وكذلك يحمد الله تعالى في كل أمر ذي بال للحديث الحسن المشهور فيه)) شرح صحيح مسلم ١٣ / ١٨٦.

[١] [٢] [٣] [٤]
اعلم ــ رحمك الله ــ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل الأولى: العلم

[١] (اعلم) للدلالة على التنبيه والاستعداد لما سيلقى على السامع والقارئ بعد كلمة (اعلم) لأنه لايستوعب الكلام ويستوعب مايلقى وما يقال إلا من انتبه واستيقظ وجمع أمره وألقى السمع فإنه يستوعب مايقال من التوجيه وتفصيل الأحكام وبيان الحلال والحرام وسماع الموعظة وتفصيل الدرس، ثم أتبع التنبيه بالدعاء لكل قارئ ولكل سامع وهو أسلوب من أساليب العلماء الذين يهمهم شأن الإسلام والمسلمين ويحبون الخير لمبتغي الخير حيث قال:

[٢] (رحمك الله) أيها القارئ أيها السامع المستفيد، ثم شرع في المقصود وهو بيان أن من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلموا هذه المسائل التي نص عليها بقوله:

[٣] (أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل) أتى بها أولاً على سبيل الإجمال أربع ليتطلع القارئ والسامع إلى تفصيل هذه الأربع وما أحوج الناس إلى فهمها وبالأخص طلاب العلم ليعلموها ويعلموها سواهم.

[٤] (المسألة الأولى: العلم) والعلم المراد به العلم الشرعي وهو ماجاء في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ وبينه العلماء الربانيون من أصحاب

وهو معرفة الله [١]

العقيدة السلفية [١] والمنهج السليم في كل باب من أبواب العلم، وهذه كلمة مجملة جاء تفصيلها فيما بعدها فكأن سائلاً سأل ما المراد بالعلم الواجب؟ لأن العلم منه ماهو واجب لايعذر أحد بجهله ومنه ماهو فرض كفاية ومنه ماهو فرض عين فهذه الأربع المسائل التي الأولى منها (العلم) واجبة ولازمة لكل مسلم ومسلمة.

[١](وهو معرفة الله) فسر العلم بأنه معرفة الله، أي: أنه يجب على المسلم والمسلمة أن يعرف كل واحد ربه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأنه ﴿ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير﴾ [٢] وأن يعرف العبد بأن الله تبارك وتعالى هو خالقه ورازقه والمتصرف في أمره بل وفي الكون كله وهو المستحق لأن يُعبد وحده دون سواه وكل عبادة صرفت لغيره فهي عبادة باطلة وأن يؤمن بأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ وقد أمرنا الله عزّ وجلّ أن تكون لنا وسيلة في دعائنا وتضرعنا إليه فقال: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها،وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون﴾ [٣] فمن

[١] معنى (السلفية) نسبة إلى السلف الصالح وهم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم والسائرون على منهجهم إلى يوم الدين.

[٢] سورة الشورى آية [١١].

[٣] سورة الأعراف آية [١٨٠].

و معرفة نبيه [١]

عرف الله عز وجلّ حق المعرفة، وقدره حق قدره فأقام فرائضه وأدى الواجبات، وامتثل المأمور واجتنب المنهي وأحل الحلال معتقداً حله وحرَّم الحرام معتقداً تحريمه وهو في كل ذلك يرجو رحمته ويخشى عقوبته طيلة حياته. فهو المؤمن حقاً له من ربه مغفرة وأجر عظيم.

[١] (معرفة نبيه) من الواجبات التي لا يعذر أحد بجهلها معرفة النبي ﷺ ومعرفة ماجاء به النبي ﷺ لايكفي المسلم والمسلمة أن يقول كل واحد منهما أنا أعرف رسول الله بأنه محمد بن عبدالله .لا يكفي هذا، لكن يعرف بأنه مرسل من عند الله أنزل الله عليه كتاباً وأمره بتبيانه وأمره بدعوة الأمة إلى الاعتصام بهذا الكتاب وما جاء به ﷺ من سنته الكريمة وعليه فتنحصر معرفة النبي ﷺ في الأمور التالية:

١ـ معرفة شخصه فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم.

٢ـ ومحبته فوق محبة النفس والمال والوالد والولد.

٣ـ ومحبة ما جاء به ﷺ جملة وتفصيلاً.

٤ـ والعمل بذلك رجاء رحمة الله وخشية عقوبته وقد ذكر العلماء بالتتبع والاستقراء لشهادة أن محمداً رسول الله أربعة شروط:

* * الشرط الأول: طاعته في كل ما أمر به.

* * الشرط الثاني: تصديقه في كل ما أخبر به إذ أنه لا ينطق عن الهوى ولايقول شيئاً إلا بوحي.

* * الشرط الثالث: اجتناب كل مانهى عنه النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والمعتقدات الباطلة.

* * الشرط الرابع: ألا يُعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ فالأبواب إلى الله مسدودة إلا من باب رسول الله ﷺ الذي جعله الله خاتماً للرسل وأوجب طاعته على الثقلين على اختلاف أجناسهم العرب والعجم بل الجن والإنس لقول الله عز وجل:﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[١].

وقد أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيه ﷺ أن يبلغ الأمة عموم رسالته وأنها ليست خاصة بالعرب وإنما هي رسالة عامة شاملة لكل من بُعث النبي ﷺ وهو على وجه الأرض من عرب وعجم وذكر وأنثى وحر وعبد وقاصي وداني بل وإنس وجن حيث قال تعالى:﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[٢] وكلمة الناس تشمل جميع الأناسي.

وأكد الله هذا المعنى في قوله ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[٣]

[١] سورة الذاريات آية [٥٦].

[٢] سورة الأعراف آية [١٥٨].

[٣] سورة سبأ آية [٢٨].

[١]
و معرفة دين الإسلام بالأدلة

وكلمة كافة تفيد العموم فلا يخرج عن رسالة النبي ﷺ أحد من الأمة الذين بعث النبي ﷺ وهم على وجه الأرض.

وأكد النبي ﷺ هذا العموم وهذا الشمول بقوله (والله لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار)[١] فدعوى اليهود ودعوى النصارى ودعوى من يدعي أنه يعبد الله بكتاب سابق للفرقان بعد نزول الفرقان ومن أنزل الله عليه الفرقان فدعواه باطلة وهو كاذب في هذا الإدعاء لأن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الفرقان مهيمناً على جميع الكتب وجعل النبي ﷺ خاتماً لجميع الرسل والأنبياء ولايجوز لأحد أن يتعبد إلا بما شرع النبي ﷺ الذي لاينطق عن الهوى.

[١] وأما (معرفة دين الإسلام بأدلته) فهذا باب واسع لأن دين الإسلام يندرج تحته جميع التكاليف القولية والفعلية الظاهرة والباطنة فإذا أطلق دين

[١] رواه مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل عليه ١ / ١٣٤ (٢٤٠) ـ وابن منده في كتاب الإيمان باب ذكر وجوب الإيمان على كل من سمع بالنبي ﷺ من أهل الكتابين ١ / ٥٠٨ (٤٠١) وفي كتاب التوحيد باب ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله عز وجل ووحدانيته كالمعاند ١ / ٣١٤ (١٥١، ١٥٢) والألباني في السلسلة الصحيحة ١ / ٢٩١ (١٥٧) (عاقبة من لم يؤمن به ﷺ).

الإسلام فهو شامل لكل ما كلف الله به عالم الإنس وعالم الجن من الفرائض والواجبات والمنهيات وغير ذلك من التكاليف الشرعية التي خلق الله من أجلها عالم الإنس وعالم الجن ولذا قال الله في حقه ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [١] فحصر ماتدين به الأمة خالقها وبارئها في الإسلام أي في جميع تعاليم الإسلام التي أتى بها رسول الإسلام وأخبر الله عزّ وجلّ أنه من أراد أن يعبد الله بدين غير دين الإسلام فعبادته باطلة وقوله مردود فقال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [٢] فخسر المبطلون من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعون بأن لهم شرائع لابد أن يقيموا تلك الشرائع وتلك العبادات التي يدعون بأنهم مأمورون بها في التوراة وفي الإنجيل ويدعون أن هذا القرآن إنما أنزل على العرب فهو خاص بهم غير شامل لغيرهم وهذه دعوى باطلة أبطلها الله سبحانه وتعالى في آيات متعددات بذكر عموم رسالة النبي ﷺ وشمولها وأبطلها النبي ﷺ بقوله (لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) [٣] .

---

[١] سورة آل عمران آية [١٩] .

[٢] سورة آل عمران آية [٨٥] .

[٣] هذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد (٣ / ٣٨٧) ، والدارمي في المقدمة باب ما يتقى من تفسير حديث =

الثانية : العمل به [١]

[١] المسألة الثانية : (العمل به) أي بالعلم وهذه من المسائل المهمة لأن العمل ثمرة العلم فمن علم ولم يعمل بعلمه فهو آثم عرض نفسه لأعظم الخطر ويترتب على فعله أشد الوعيد ، ولهذا قال علماؤنا رحمهم الله ((من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى)) [١] .

وبيان ذلك أن اليهود أنزل الله عليهم علماً نافعاً ، هي التوراة فيها هدىً ونور فحرفوا وبدلوا لأنهم لايريدون أن يعملوا بنصوص التوراة كما أنزلها الله عز وجل على موسى عليه السلام ففسدوا واستحقوا من الله عز وجل الغضب فغضب الله عليهم لأنهم علموا ولم يعملوا ومن علم من أمة محمد ﷺ شيئاً من علم الكتاب والسنة ثم لم يعمل به فقد تشبه بأولئك المغضوب عليهم وفي الحديث (ومن تشبه بقوم فهو منهم) [٢] أي

= النبي ﷺ ١ / ١٢٦ (٤٣٥) وكتاب السنة ١ / ٢٧ (٥٠) قال الألباني (حديث حسن ، إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف ، ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في المشكاة (١٧٧) ثم خرجت بعضها في الإرواء [١٥٨٩]) وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢ / ٨٠٤ (١٤٩٥) و ٨٠٥ / (١٤٩٧) ، وانظر : الإرواء ٦ / ٣٤ (١٥٩٨) وقال عنه حسن ، والمشكاة كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسنة ١ / ٦٣ (١٧٧) .

[١] ذكره ابن تيمية عن سفيان بن عيينة وغيره في اقتضاء الصراط المستقيم ١ / ٦٧ .

[٢] أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب لبس الشهرة ٤ / ٤٣ (٤٠٣١) ومجمع الزوائد كتاب الزهد باب من تشبه بقوم فهو منهم ١٠ / ٢٧١ والتمهيد لابن عبد البر ٦ / ٨٠ =

يستحق العقوبة كما استحقوا العقوبة ،وعقوبة كل جان بحسب جريمته وبحسب جنايته على نفسه ، إذن فالواجب أن يُتبع المسلم العلم بالعمل كلما فقه مسألة من مسائل دين الإسلام عمل بها ليكسب الأجر الوفير ويؤدي الفرائض ويؤدي الواجبات ويبتعد عن المحرمات كل ذلك عمل سببه العلم ، فالعلم مفتاح وباب لكل خير ، ومن حُرم العلم حُرم الخير كله لأن الله عزّ وجلّ أرسل الرسل بالعلم وأنزل الكتب بالعلم وقال النبي ﷺ (إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً . إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [١] .

= ومشكاة المصابيح كتاب اللباس ٢ / ١٢٤٦ (٤٣٤٧) وإرواء الغليل ٥ / ١٠٩ (١٢٦٩) وقال عنه صحيح .

[١] هذا جزء من حديث عن كثير بن قيس ؛ قال كنت جالساً عند أبي الدرداء في مسجد دمشق . فأتاه رجل ، فقال : يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة ، مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدَّث به عن النبي ﷺ . قال فما جاء بك تجارة؟ قال : لا . قال : ولا جاء بك غيره؟ قال : لا . قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم . وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض . حتى الحيتان في الماء . وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً . إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)) . أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ٣ / ٣١٦ (٣٦٤١) . والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٧ / ٣٧٤ [٢٨٢٢] . وابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨١ (٢٢٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١ / ٤٣ (١٨٢) . والدارمي ١ / ١١٠ (٣٤٢) في المقدمة باب في فضل العلم والعالم . وشرح السنة =

غير أن العلم الذي يثمر العمل الصالح لا يحصل للإنسان من ذكر وأنثى إلا إذا بذلت الجهود في تحصيله وصحت النية فيه واهتم به المسلمون والمسلمات وبذلوا جهودهم فعلى قدر بذل الجهد يحصل العلم ويكتسب، وأما التقاعس وطاعة النفس في شهواتها في لهو وغفلة فهذا سبب من أسباب الحرمان فالنفس كما وصفها الله أمارة بالسوء، فالسالكون طرق العلم الشريف هم الذين اختاروا لأنفسهم بعد فضل الله ومنته عليهم أشرف الطرق وخير الأعمال وأزكاها لأنه لايمكن لأحد أن يحسن عملاً إلا إذا سبقه العلم والمراد به العلم الشرعي الموروث من الكتاب والسنة ومن حسن حظ الأمة أن يجدوا من ينبههم على ذلك ويعينهم على ذلك ويضم جهده إلى جهودهم إما بالتعليم، وإما بالدلالة على الخير ،والترغيب في هذا الفضل وفي هذا الشرف العظيم سابقاً ولاحقاً ويكفي فيه أن الله تبارك وتعالى أشاد بالعلم والعلماء ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [١] ﴿ يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [٢] واعتبر الله تبارك وتعالى العالم مبصراً، والجاهل أعمى في قوله عزّ وجلّ ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى

= (١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩) باب ذكر حديث أبي الدرداء في ذلك وما كان في مثل معناه.

[١] سورة فاطر آية [٢٨].

[٢] سورة المجادلة آية [١١].

إنما يتذكر أولو الألباب ﴾[١] فانظروا الفروق الواضحة الظاهرة بين العالم المبصر وبين الجاهل الذي يتخبط في دنياه، إن عمل عملاً لا يميز بين صواب وخطأ ولا صحة وبطلان، وما ذلك إلا نتيجة الجهل الذي سببه البعد عن مجالس العلم وحلقات العلماء الربانيين.

ومما جاء في الترغيب في العلم الذي يثمر العمل الصالح قول النبي ﷺ (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) وفي رواية (سلك الله به طريقاً إلى الجنة)[٢] وهذا الوعد الكريم خص الله به السالكين طرق العلم الذين يلتمسون فيها العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح الذي يرجون من ورائه رضا الله وجنته في دار كرامته ويخشون عقوبته وأليم عذابه فالمؤمن دائماً وأبداً بين الخوف والرجاء.

فالعمل العمل بالعلم فإنه ثمرته، وإذا علم العبد شيئاً وعمل به فإنه يتم عمله بدعوة غيره ليعلم ويعمل بقدر طاقته وغاية جهده من قريب وبعيد والقريب أولى بالبدء في دعوته ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٣] لذا جاءت

[١] سورة الرعد آية [١٩].

[٢] سبق تخريجه في ص [١٠] بنحوه.

[٣] سورة الشعراء آية [٢١٤].

[١] [٢]
الثالثة: الدعوة إليه. الرابعة: الصبر على الأذى فيه

[١] المسألة الثالثة: (الدعوة إليه) الدعوة إلى العلم والعمل وخير الناس من علم وعمل ودعا الناس للعلم والعمل كما في قوله عزّ وجلّ ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾[١] دعوة إلى الله وعمل بشرع الله وانقياد واستسلام لأمر الله تبارك وتعالى بالامتثال.

[٢] و (الرابعة: الصبر على الأذى فيه) إذ أنه ما من داعٍ يدعو الناس إلى ما دعا إليه الرسل إلا وسيجد من يتعرض لأذاه كما تعرض الرسل والأنبياء للأذى من أقوامهم فعليه أن يصبر، أي يعتصم بالصبر الذي يعتبر من خير خصال أهل الإيمان ومن خير زاد للدعاة إلى الله تبارك وتعالى، سواء كانت الدعوة لأقربائهم أو كانت الدعوة لغيرهم، لابد أن يكون صابراً.

أولاً: لايدخل في سبيل الدعوة إلا بالصبر.

وثانياً: إذا دعا الناس ووجد شيئاً يعارضه أو يرد دعوته صبر واستمر في ذلك معتمداً على الله عزّ وجلّ راجياً الثواب منه والعون منه كما هو طريق الرسل والأنبياء عندما بعثهم الله ليدعوا أممهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ وطاعته ومتابعة رسله.

---

[١] سورة فصلت آية [٣٣]

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [١]

[١] واستدل المؤلف رحمه الله على هذه المسائل بقول الله عزّ وجلّ ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر ﴾ [١].

أقسم الله بالزمان على أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بأربع صفات:

الصفة الأولى: الإيمان وهو العمل القلبي والتصديق الجازم بكل ما يجب الإيمان به من دين الإسلام.

والصفة الثانية: عمل الصالحات بالجوارح ويراد بها ههنا الأعمال الظاهرة من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد وطلب للعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر ودعوة إلى الله عزّ وجلّ إلى غير ذلك من الأعمال التي يزاولها أهل الإيمان والإسلام بجوارحهم.

والصفة الثالثة: التواصي بالحق: ولا تتم هذه الصفة لأحد إلا بعد أن يعلم الحق فيعود الأمر إلى العلم إن وجد فهو سبب لهداية العبد ولهداية من

[١] قال ابن القيم رحمه الله عن سورة العصر (وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه، مكملا لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، وصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات.

وتكميله غيره وتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل.

فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ماسواه، شافيا من كل داء، هاديا إلى كل خير.)

الإفادة من مفتاح دار السعادة ١ / ٩٩.

يدعوهم ليهتدوا بهدي الله تبارك وتعالى. فمعرفة الحق يدخل في التواصي بالحق دخولاً أولياً لأنك لا يمكن أن توصي الناس بالحق إلا بعد أن تعرفه، وهذا هو الواجب.

وتواصي الناس بالحق على درجات متفاوتة بحسب تفاوتهم في معرفة الحق، فهذا يوصي بالحق على سبيل الإجمال وهذا يوصي بالحق على سبيل التفصيل وهكذا كما قال الله ﴿فسالت أودية بقدرها﴾[١] كل بقدر حاله وبحسب استطاعته.

وفي مقدمة الحق الذي يجب التواصي به توحيد الله تبارك وتعالى، توحيده في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وفي صفاته، ثم يأتي دور الفرائض التي فرضها الله عزّ وجلّ على العباد على اختلاف أنواعها وأهمها الصلاة بعد الشهادتين ثم قرينتها الزكاة وهكذا بقية أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

والصفة الرابعة: الصبر بجميع أنواعه: (أ) صبر على طاعة الله فيفعلها يرجو ثوابها ويخشى عقوبة التقصير فيها، (ب) وصبر عن معصية الله فيبتعد عنها لما فيها من الخطر في الدنيا والبرزخ والآخرة وما هلكت الأمم السابقة ـ الذين أخبرنا الله عزّ وجلّ عنهم في محكم القرآن ـ إلا بسبب

[١] سورة الرعد آية [١٧].

المعصية، منهم من أغرقهم الله ومنهم من أنزل به صاعقة ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من مسخوا[١] كل ذلك بسبب شيئ واحد هو معصية الله تبارك وتعالى لأن الله يجب أن يطاع فلا يعصى، فمعصية الله جريمة منكرة توجب غضبه ومقته وسخطه وأليم عقابه.

إذن من أنواع الصبر، الصبر عن معصية الله لايقربها وإن وقع فيها أسرع إلى الله بالتوبة تائباً صادقاً مستغفراً منكسراً بين يدي الله، يتبع السيئات بالحسنات كما قال الله عزّ وجلّ ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾[٢].

وكما قال النبي ﷺ (وأتبع السيئة الحسنة تمحها)[٣].

(جـ) والنوع الثالث من أنواع الصبر / الصبر على أقدار الله وعلى قضائه وعلى حكمه في عباده فما من حركة في الكون ولا حدث من الأحداث

[١] يشير الشيخ حفظه الله إلى قوله تعالى: ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ سورة العنكبوت آية [٤٠].

[٢] سورة هود آية [١١٤].

[٣] أخرجه الإمام أحمد ٥/١٥٣ و ١٥٨ و ١٧٧ و٢٣٦ والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس ٤/٣١٢ (١٩٨٧) والدارمي في كتاب الرقاق باب في حسن الخلق ٢/٤١٥ (٢٧٩١) والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان ١/١٢١ (١٧٨) وحلية الأولياء ٤/٣٧٨.

والألباني في مشكاة المصابيح كتاب الآداب باب الرفق والحياء وحسن الخلق ٣/١٤٠٩ (٥٠٨٣) وحسنه.

ولا أمر من الأمور إلا والله هو مقدره فلابد من الصبر، الصبر على المصائب التي تتعلق بالنفس أو تتعلق بالولد أو تتعلق بالمال أو نحو ذلك مما هو من سنة الله الجارية في هذا الكون إذ تجد الخلق تصيبهم مصائب متنوعة ومتعددة هذا يصاب بالفقر، وهذا يصاب بالمرض، وهذا يصاب بالهم والغم، وهذا يصاب بالخوف،وهذا يصاب بأمور تعتريه، ولا ينفع ذلك إلا أن يكون صابراً محتسباً يبتغي وجه الله عزّ وجلّ ويطمع في ثواب الصابرين الذين بشرهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وبشر الصابرين﴾ [١] وقال عزّ وجلّ ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [٢] ولعظم شأن الصبر وصى الله نبيه محمداً ﷺ فقال له ﴿واصبر وما صبرك إلابالله﴾ [٣]، وأعلمه بأن الصبر من خلق الرسل ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ [٤] وهكذا مدح أهل العقول والنهى في قوله ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء العذاب﴾ إلى أن قال

[١] سورة البقرة آية [١٥٥].

[٢] سورة الزمر آية [١٠].

[٣] سورة النحل آية [١٢٧].

[٤] سورة الأحقاف آية [٣٥].

[١]
﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾
فلابد من تقييد الصبر بالصبر الذي يُبتغى به وجه الله والدار الآخرة وليس المراد بالصبر ليُقال إن فلاناً من أهل الصبر و من أهل الجلد وما شاكل ذلك ممن لا يرى أمامه إلا الناس، بل الصبر يبتغى به وجه الله لأنه من خير العبادات وأزكاها التي يجب أن يعتصم بها أهل الإسلام والإيمان والإحسان.

[١] سورة الرعد اية [٢٢].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله: سبق معنا ما ذكره المؤلف رحمه الله من المسائل التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلمها، وذكر المسألة الأولى: وأنها العلم الذي يتجلى في معرفة الله بذاته وأسمائه وصفاته. ويتجلى أيضاً في محبة الله تبارك وتعالى ومحبة رسوله ﷺ وما جاء من عند الله من أوامر ونواهي وتكاليف شرعية للأمة، كلها علمٌ أنزله الله تبارك وتعالى ليُعمل به. والمكلفون به هم عالم الإنس والجن ويدخل في العلم أيضاً معرفة النبي ﷺ معرفة شرعية من هو؟ وبأي شيئ جاء؟ وإلى أي شيئ يدعو؟

فهو رسول الله حقاً أرسله الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين، وأنزل عليه كتابه المبين، ليدعو الثقلين إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه فوجبت على المكلفين محبته فوق محبة النفس والوالد والولدوالناس أجمعين[١]، لأن الله اصطفاه واجتباه وفضله على جميع العالمين، ولأن الله

[١] يشير الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي رواه أنس قال قال رسول الله ﷺ (لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١ / ٢١ (١٥). ومسلم في كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ١ / ٦٧ (٤٤). وابن ماجه في المقدمة باب في الإيمان ١ / ٢٦ (٦٦). والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه باب علامة الإيمان ٦ / ٥٣٤ (١١٧٤٤).

أنقذ به المكلفين من عالم الإنس والجن، من ظلمات الجهل وتيه الضلال إلى نور العلم والإيمان والمعرفة بالله وبما يجب لله تبارك وتعالى.

ويدخل في العلم معرفة دين الإسلام بأدلته: ودين الإسلام هو الدين الذي وصى به الله جميع الرسل والأنبياء ليبلغوه أمم الأرض عبر تاريخ الأمم من أول رسول أرسل وهو نوح عليه السلام، أمره الله أن يدعو إلى الإسلام وأصله وأساسه عبادة الله عزّ وجلّ بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وجميع أفعاله، وتتابع الرسل والأنبياء ومن دعا بدعوتهم تتابعوا على الدعوة إلى دين الإسلام والعمل به وترك ماسواه حتى خُتمت الرسالات برسالة النبي ﷺ فهو أعظم داعية إلى الإسلام وأحكم داعية إليه، وفي شريعته الهدى والنور والرحمة والله سبحانه وتعالى جعل الإسلام السبيل الوحيد الموصل إليه والصراط المستقيم الذي من سلكه وصل إلى رضا الله وجنته في دار كرامته ونجا من عذاب الله وسخطه ومقته وأليم عقابه.

وإذا رجعنا إلى معنى الإسلام عرفنا يقيناً بأنه الدين الحق الذي دعا إليه كل رسول أرسله الله وكل نبي بعثه الله وكل عالم رباني دعا ويدعو بدعوة الأنبياء والمرسلين ذلك أنه هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة

والخضوع له والخلوص من الشرك والبراءة منه ومن أهله وهذا مفتاح رسالة كل رسول أُرسل وكل نبي بُعث والقرآن الكريم خير دليل وخير شاهد على هذا المنهج الذي تتابع عليه رسل الله وأنبياؤه ومشى عليه العلماء الربانيون في كل زمان وفي كل مكان عبر تأريخ هذه الحياة.

وأيضاً عرَّجنا على المسألة الثانية وهي العمل بالعلم، وذكرنا بأن ثمرة العلم العمل لأن العلم النافع الذي استمد من كتاب الله وسنة النبي ﷺ يثمر العمل الصالح فهما قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر العلم والعمل، فإذا انفك أحدهما عن الآخر فإذا وجد العلم ولم يوجد العمل فهذه طريقة المغضوب عليهم والعياذ بالله وإذا وجد العمل ولم يوجد العلم فهذه طريق الضالين وإذا وجد العلم ووجد العمل فهي طريق المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين [١] الذين ذكرهم الله في قوله ﴿ ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

---

[١] قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (فالمغضوب عليهم هم الذين لم يعملوا بعلمهم والضالون العاملون بلا علم ، فالأول صفة اليهود والثاني صفة النصاري . وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات) . مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ٥ / ١٧ .

وانظر الفتاوى ١١ / ٢٧ .

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴾ [١].

ومن تمام العمل بالعلم الدعوة إليه لأن العلم لا ينتشر ولايفهم على الوجه الصحيح ولا تنتفع به الأمة إلا إذا وجد من يدعو إلى هذا العلم والعمل به، دعوة إلى العلم والعمل، وأشرف الناس وأزكاهم هم الذين يهتمون بشأن الدعوة إلى العلم والعمل وسبب هذا الشرف وهذه التزكية هو أنهم ورثة الرسل وورثة الأنبياء، لأن الرسل والأنبياء جاءوا بالدعوة الى العلم والعمل فهدى الله سبحانه وتعالى بدعوتهم من أراد هدايته، ممن هو أهل للخير ومحل للصلاح وأعرض عنها من سبقت عليه الشقوة وحكم الله عليه بالخذلان والضلال لأنه ليس أهلاً للخير ولا محلاً للصلاح، والله لايُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فلا يقال لماذا حكم لهؤلاء بالهداية فهداهم؟ ولماذا حكم على أولئك بالضلال فأضلهم؟ هذا لايقوله من عنده علم بذات الله، ولا يقوله من يقدر الله حق قدره وإنما يقوله أهل الإلحاد وأهل التضليل وأهل الجهل بالعلم النافع الذي يثمر العمل الصالح.

ومن دعائم الدعوة إلى العلم والعمل، ومن الوسائل الشرعية العظيمة

[١] سورة النساء آية [٦٩].

الصبر على الأذى فيه وهي المسألة الرابعة (الصبر على الأذى فيه) وذلك أن الداعية لابد أن يواجه أصنافاً من الناس قد اختلفت مفاهيمهم، وتباينت اتجاهاتهم، وتنوعت مستوياتهم، فمنهم من يقبل دعوته لأول وهلة وهؤلاء من سلمت فطرتهم إذا دُعوا إلى الله وإلى رسوله ﷺ تجدهم أول المبادرين إليها والقابلين لها ،والمحبين لها وتجد آخرين أيضاً بعضهم يعرض عن دعوة الخير ودعوة الحق والهدى لجهله بما هو في أمس الحاجة إليه، إذا كان هو يحتاج إلى الطعام والشراب والنَفَس فهو يحتاج إلى العلم والعمل مثل حاجته إلى طعامه وشرابه ونَفَسه، بل حاجته إلى العلم والعمل أشد ولكن كثيراً من الناس يجهلون الحكمة من خلقهم وإيجادهم، من أجل هذا التباين واختلاف الناس واختلاف مواقفهم فإنه لابد للداعية إلى العلم والعمل به أن يصبر على ما يصيبه من أذى، أسوته في ذلك رسل الله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام وكل داعية إلى الله صابر مخلص يرجو من وراء دعوته رضا الله وجنته ويخشى عقوبة الله تبارك وتعالى.

وقد استدل رحمه الله بأعظم سورة تضمنت ـعوة إلى العلم والعمل به ودعوة الخلق إليه والصبر على ماينال الإنسان من أذى في هذا السبيل وهي سورة العصر، حيث ذكر الله تبارك وتعالى فيها قاعدة عامة، أن كل

إنسان خاسر بمعنى هالك إلا من استثناهم في قوله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ فهؤلاء الذين جمعوا بين العلم والعمل به ودعوة الخلق إليه والصبر على الأذى فيه، هؤلاء هم صفوة الناس وخيرهم وأزكاهم لذا استثناهم الله تبارك وتعالى من الخسران، ومن سَلِمَ من الخسران فهو الرابح وهو الفائز فوزاً عظيماً في دنياه وفي برزخه وفي أخراه فهو الفائز وهو المفلح لأنه امتثل لأمر ربه فآمن بكل مايجب الإيمان به باطناً وظاهراً قولاً وفعلاً واعتقاداً وعمل الصالحات بجوارحه على اختلاف أنواع التكاليف التي هي من وظائف الجوارح والحواس.

ثم شرع في دعوة الخلق إلى رحاب الحق أمراً ونهياً وإيضاحاً وتبياناً ونصراً ورعاية لايريد منهم جزاءً ولاشكوراً ولكن يريد منهم أن يسلكوا في رضا ربهم ويتقربوا إليه بصالح العمل ويبتعدوا عن مواطن الزلل فذلك هو الذي يرضي الله تبارك وتعالى عنهم ويمنحهم جنته التي أعدها لأوليائه وحزبه المفلحين، وصبروا على ذلك صبراً مستمراً طيلة الحياة التي يدعون فيها الخلق إلى الله تبارك وتعالى.

هذه كإعادة لخلاصة الدرس الماضي.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم "[١]

---

[١] ووقفنا عند قول الشافعي رحمه الله [١] (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم) [٢].

وهذا التعبير يدل على عمق فقه الشافعي ومعرفته بمعاني كلام الله تبارك وتعالى وهكذا كل من أمعن النظر رأى بأنه لوما أنزل الله على الخلق إلا هذه السورة التي فيها دعوة الخلق إلى الإيمان بكل ما يجب الإيمان به، لأن الله قال ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ وفيها الدعوة إلى العمل الصالح على اختلاف أنواع التكاليف من فرائض وواجبات ومسنونات وفيها دعوة الناس إلى الحق والعمل به والصبر على الأذى فيه، فحق للشافعي رحمه الله أن يقول (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)، كيف وقد أنزل الله مائة وأربع عشرة سورة، منها الطوال ومنها المئين ومنها دون ذلك ومنها المفصل وهذا أمر معلوم لأن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا

---

[١] هو الإمام، عالم عصره، ناصر الحديث، فقيه الملة أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي ولد بغزة وحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ وهو ابن عشر وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن ثماني عشرة سنة، وصنف التصانيف، ودوّن العلم، ورد على الأئمة متبعاً الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه وبَعُد صيته، وتكاثر عليه الطلبة.

مات سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة.

انظر البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٤ وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٥ وتقريب التهذيب ٢ / ٥٣.

(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره بنحوه تيسير العلي القدير ٤ / ٥٤٩.

وقال البخاري رحمه الله تعالى : (باب) العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ [١] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

القرآن وتكفل بحفظه كما في قوله ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [١] .

[١] وقال البخاري [٢] رحمه الله (باب العلم قبل القول والعمل) [٣] وتبويب البخاري وتراجمه تعتبر كقواعد فقهية ، قواعد علمية لأنه ينطلق مما يستمده من القرآن الكريم أو من حديث النبي ﷺ فيضع ترجمة كهذه الترجمة (باب العلم قبل القول والعمل) أخذها من قوله عزّ وجلّ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ [٤] .

فبدأ هنا ، بما بدأ الله عزّ وجلّ به في هذا الأمر المبارك للنبي ﷺ وأمته تبع له

[١] سورة الحجر آية [٩] .

[٢] هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو عبد الله البخاري ، جبل الحفظ صاحب الصحيح وإمام أهل الحديث في زمانه ، والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه ، وأجمع العلماء على قبوله وصحة مافيه وكذلك سائر أهل الإسلام . ولد سنة أربع وتسعين ومائة ومات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمه فألهمه الله حفظ الحديث وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة وتنقل من مكة ثم إلى أماكن مختلفة وتوفي في خرتنك على فرسخين من سمرقند سنة ست وخمسين ومائتين في شوال وله اثنتان وستون سنة .
انظر البداية والنهاية ١١ / ٢٤ والتقريب ٢ / ١٧٨ (٦٦٤٤) .

[٣] قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما ، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك حتى لايسبق إلى الذهن من قولهم (إن العلم لاينفع إلا بالعمل) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه . انظر فتح الباري ١ / ٢١٦ .

(٤) سورة محمد آية [١٩] .

في ذلك، أمره الله بالعلم، وماذلك إلا لأن كل عبادة بدون علم لايقيم الله لها وزناً بل لابد أن يسبق العمل العلم حتى يكون العامل على بصيرة من أمره.

وسبق معنا أن العلم والعمل مقترنان وأن من جمع بينهما فقد هُدي إلى الصراط المستقيم، وأن من علم ولم يعمل فقد سلك طريق المغضوب عليهم، وأن من عمل بدون علم بل على جهل وخطأ فقد سلك طريق الضالين، وهذه قواعد معلومة من دين الإسلام بالضرورة.

وفي قول الله عزّ وجلّ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ يحسن بالداعية والمعلم أن يقف عند معنى هذه الكلمة كلمة الإخلاص [لا إله إلا الله] ليتعرف على أركانها أولاً، وعلى شروطها ثانياً، وعلى حقوقها ومكملاتها بحسب الإمكان ثالثاً.

وقد ذكر علماؤنا رحمهم الله أن لـ:لا إله إلا الله أركاناً وشروطاً وحقوقاً وواجبات ومكملات. فأركانها اثنان: النفي والإثبات.[١] أما النفي فمأخوذ من قولك (لا إله) وأما الإثبات فمأخوذ من قولك (إلا الله).

والمعنى العام: لا معبود حق إلا الله وحده دون سواه، فعبادته هي الحق

(١) وقد نظمها شيخنا زيد المدخلي بقوله :

لكلمة الإخلاص ركنان هما   النفي والإثبات فاحْفَظَنْهما

وعبادة غيره من أصنام وأوثان وأرباب تعبد من دون الله عبادة باطلة يسأل عنها من وقع فيها وعبادة غير الله أكبر جريمة على وجه الأرض وأعظم ذنب عُصي الله تبارك وتعالى به بدليل أنه لايغفر لصاحبه إن مات على ذلك لقول الله عزّ وجلّ ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[١] ولقول النبي ﷺ لمن سأله (أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك)[٢] وكما ذكروا لها أركاناً فقد ذكروا لها شروطاً، سبعة عرفت بالتتبع والاستقراء من الكتاب والسنة.

الشرط الأول العلم بمعناها وذلك أن العبد إذا نطق فقال لا إله إلا الله فإنه يجب أن يكون عالماً بمعناها، أي لا معبود حق إلا الله، ولكل شرط من شروطها ضد، فضد العلم الجهل، إذ أن الجاهل بمعناها لايستطيع أن يطبق مادلت عليه من العلم حتى يعلم، ومن أجل هذا قال البخاري رحمه الله تعالى (باب العلم قبل القول والعمل).ولكونها أصل الدين وقاعدته فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلموا أركانها وشروطها ولو على سبيل الإجمال الواضح.

(١) سورة النساء آية [٤٨] وآية [١١٦].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب إثم الزناة ٤ / ٢٥٢ [٦٨١١] والنسائي في كتاب الرجم باب تعظيم الزنا ٤ / ٢٦٦ [٧١٢٤] و [٧١٢٥].

والشرط الثاني اليقين: وذلك بأن يكون الناطق بـ: لا إله إلا الله موقناً بما دلت عليه من المعنى وهو النفي والإثبات.

وضده الشك فلايجوز أن يشك المسلم فيما دلت عليه كلمة الإخلاص من معنى.

والشرط الثالث القبول: لما دلت عليه من المعنى العظيم الذي هو النفي والإثبات.

القبول لذلك بصدر منشرح، ونفس مطمئنة، وإيمان عميق، أن ما دلت عليه هذه الكلمة أنه أصل الدين وقاعدته وأساسه، وضد القبول الرد، وقد فعله كفار قريش الذين واجههم النبي ﷺ بالدعوة فردوا عليه هذه الكلمة اعتزازاً بعبادة الأصنام والأوثان التي وجدوا عليها الأباء والأجداد ودارت المعارك، ونصر الله عزّ وجلّ الطائفة المؤمنة بقيادة النبي الكريم ﷺ على أولئك الكافرين المعرضين الذين لم ينقادوا لكلمة الإخلاص إلاّ بعد مصاولة وبعد أذى نال النبي ﷺ والطائفة المؤمنة القليلة الذين اتبعوه في أول الأمر الذين منهم من هاجر إلى الحبشة ومنهم من بقي مختفياً حتى جاء الله عزّ وجلّ بالفتح المبين وجاءت الهجرة وجاء بعدها الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً وانتصر الحق وعلت هذه الكلمة التي من أجلها خلق الله الثقلين وخلق

السماوات والأرض وخلق الجنة والنار وشرع الجهاد والدعوة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك ليتحقق معنى هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله).

والشرط الرابع الانقياد: بمعنى الخضوع والإستسلام ظاهراً وباطناً للمعنى الذي دلت عليه كلمة الإخلاص.

والشرط الخامس الصدق والتصديق: بمعنى إذا قلت لا إله إلا الله تكون صادقاً فيما تقول. والدليل على الصدق هو أن تفرد ربك بكل عبادة مالية أو بدنية أو هما معاً وحده دون سواه فلا تتوجه بالعبادات إلا إليه كما أمرك الله عزّ وجلّ في قوله ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾[١]. وكما في قوله ﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً ﴾[٢]. وكما في قوله ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾[٣]. وكما في قوله الحق ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لايفلح الكافرون ﴾[٤]. وكما في قوله عزّ وجلّ ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا

[١] سورة الإسراء آية [٢٣].

[٢] سورة النساء آية [٣٦].

[٣] سورة الجن آية [١٨].

[٤] سورة المؤمنون آية [١١٧].

الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾[١]. إلى غير ذلك من النصوص التي أمر الله عزّ وجلّ فيها المكلفين أن يتوجهوا إليه بعباداتهم من فعل الأوامر وترك النواهي وإحلال الحلال وتحريم الحرام وإقامة الفرائض وإقامة الحدود وأداء الواجبات والتقرب إلى الله بالمسنونات هذه هي العبادات التي كلف الله بها جميع المخلوقات من عالم الإنس والجن.

إذن معنى الصدق أن يكون صادقاً وأن يكون مصدقاً بما دلت عليه هذه الكلمة العظيمة من معنى.

وضد الصدق الكذب كما كذب بها الكفار على اختلاف أصنافهم، كذب بها الوثنيون وكذب بها الملاحدة الذين لايؤمنون بوجود الله ولا بالجنة ولا بالنار ولا بالبعث ولا بالنشور، وكذب بها اليهود وكذب بها النصاري فغضب الله عليهم جميعاً لأنهم لم يصدقوا بهذه الكلمة وإنما جعلوا مع الله آلهةً أخرى، فالكفار الوثنيون جعلوا مع الله معبودات من الخشب والحجارة والتماثيل والأضرحة يتوجهون إليها بالنذور وبالذبائح ومن ثم يستغيثون بمن فيها ممن يطلقون عليهم الأولياء في جلب المصالح ودفع المضار.

وعبدت اليهود ثلاثة والنصارى كذلك كما بين الله عزّ وجلّ ذلك في قوله

[١] سورة البينة آية [٥].

:﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ [١] فجعلوا لله ولداً ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [١] رد الله عليهم وذمهم بقوله :﴿ ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا ﴾ [١] وذمهم بقوله ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ﴾ [٢] الآية أي يتخذون العلماء والعباد أرباباً يحلون لهم الحرام فيتبعونهم على ذلك ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم على ذلك فذمهم الله عزّ وجلّ ذماً شديداً لتأخذ أمة القرآن العظة والعبرة من صنيعهم الذي أوضحه الله بقوله ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ .

وأما أهل الإلحاد من الدهريين [٣] والطبائعيين [٤]

[١] سورة التوبة آية [٣٠] .

[٢] سورة التوبة آية [٣١] .

[٣] الدهرية فرقة ينفون الربوبية ، ويحيلون الأمر والنهي ، وينكرون جواز الرسالة ، ويجعلون الطينية قديمة ، ويجحدون العقاب ولايعرفون الحلال ولا الحرام ، ولا يقرون في جميع المعالم برهاناً يدل على صانع ولا مصنوع ، وخالق ومخلوق ، تعالى الله عن إفك الكل وعصمنا من الأباطيل برحمته .

عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢ / ٧٦٧ والمنتقى النفيس ص (٦٨) وإغاثة اللهفان ص (٦١٢) .

[٤] الطبائعيون : هم الذين يزعمون أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها ، ليس لها ربٌ يتصرف فيها ، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية .

معارج القبول ٢ / ٧٧٦ والمنتقى النفيس ص (٧٠) .

والماركسيين [١] فهؤلاء لايؤمنون بوجود اللهِ عزّ وجلّ وإنما يؤمنون بأن الطبيعة هي التي تتصرف في الكون وإذا سُئِلُوا عن الطبيعة قالوا قوة فاعلة ولايدرون عن حقيقتها وهذا غاية الكفر والإلحاد.

الشرط السادس

الإخلاص: وضده الشرك والمشرك عمله باطل ومردود عليه لقول الله عزّ وجلّ ﴿ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا ﴾ [٢].

الشرط السابع

المحبة: لهذه الكلمة ولما دلت عليه من معنى والمحبة لمن أنزلها وأمر أن تحقق ولمن دعا إليها من الرسل والأنبياء والوارثين لدعوتهم فمن أحبها وأحب من أمر بها وأحب المعنى الذي دلت عليه فهو المسلم حقاً ومن أبغضها وأبغض من جاء بها ولم يعمل بما دلت عليه من المعاني فهذا ليس من المسلمين في شيئ وضد المحبة البغض.

[١] الماركسية:

نسبة إلى ماركس كارل (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) فيلسوف ألماني واجتماعي وثوري محترف. كان المؤسس الرئيسي لحركتين جماهيريتين قويتين هما: الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الثورية.

الموسوعة العربية العالمية ٢٢ / ٦٦ باختصار.

(٢) سورة الفرقان آية [٢٣].

وأعيد الشروط [١] السبعة [٢] على سبيل الإجمال لتحفظ :

١ : العلم. ٢ : اليقين. ٣ : القبول. ٤ : الإنقياد. ٥ : الصدق ٦ : الإخلاص.

٧ : المحبة.

وأما حقوقها ومكملاتها فهي بقية التكاليف الشرعية من فرائض وواجبات، التي أمر الله بامتثالها والعمل بمقتضاها والإبتعاد عن المحرمات والعمل بالمسنونات هذه كلها تكمل لا إله إلا الله وتشهد لقائليها بالصدق فيها والمحبة لها.

---

(١) وقيل ثمانية نظمها شيخنا زيد المدخلي بقوله:

شروطها بالنص قل ثمانية ... العلم واليقين إخلاص النية
رابعها الصدق يليه الخامس ... هو انقياد والقبول السادس
والسابع الحب لما له حوتْ ... من المعاني فاعملن بما ثبتْ
والثامن البغض لما يعبد منْ ... دون الإله فاعْقلَنْها يا فطنْ

(٢) وقد نظمها شيخ مشائخنا الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله بقوله:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

معارج القبول ١ / ٣٢.

اعلم[١] ـ رحمك الله ـ[٢] أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فقد وصلنا في الدرس الماضي إلى قول المصنف رحمه الله " اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار".

[١] ففي قول المؤلف رحمه الله (اعلم) تنبيه وإرشاد وتوجيه لطالب العلم ليصغي إلى مسائله ويهتم بشأنه فالعلم هو خير مايهتم به وخير ماتصغى إليه القلوب والجوارح لفهمه على الوجه الصحيح ومن ثَمَّ العمل به إذ هو ثمرة العلم.

[٢] وفي قوله (رحمك الله) خطاب لكل قارئ وسامع، وهي جملة تدل على نصح المؤلف وإخلاصه لإخوانه المسلمين والمؤمنين حيث دعا لهم بين يدي مسائل مهمة ليعلموها ويعوها ويعملوا بمقتضاها وذلك من الآداب الحسنة في التأليف وفي المخاطبات وفي الخطب وفي المحاضرات على اختلاف أنواعها، يسلك علماء السلف في توجيهاتهم كتابةً وخطابةً وتوجيهاً سديداً هذا المسلك بتنبيه السامع والقارئ والدعاء الخالص له.

الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هَمَلاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.[١]

ثم بين أن هناك ثلاث مسائل من أسس الإسلام وأصول الإيمان يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها ويفهمها فهماً صحيحاً ويعمل بمقتضاها.

وهذه المسائل الثلاث حصرها المؤلف بالتتبع والاستقراء من نصوص الكتاب والسنة.

[١] ثم شرع في بيان المسائل فبدأ بالمسألة الأولى وهي (أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هَمَلاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار).

وهذه المسألة أدلتها ثابتة صريحة في الكتاب والسنة وهي أن الله خلق الخليقة على اختلاف أجناسها وأصنافها وصرح بذلك في آيات محكمات منها قوله تبارك وتعالى ﴿ الله خالق كل شيئ وهو على كل شيئ وكيل ﴾[١] ومنها قوله عزّ وجلّ ﴿ وخلق كل شيئ فقدره تقديرا ﴾[٢] وقوله تبارك وتعالى ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيئ قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾[٣].

ومن ذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من

[١] سورة الزمر آية [٦٢].

[٢] سورة الفرقان آية [٢].

[٣] سورة الملك الآيتان [١، ٢].

علق﴾ [١] وهناك آيات متعددات تدل على منة الله ونعمته وفضله وإحسانه على مخلوقاته وفي مقدمة المخلوقات عالم المكلفين من الإنس والجن، وكما انفرد بخلقهم كذلك انفرد برزقهم ولم يشاركه في الخلق والإيجاد والرزق والعطاء مشارك من مخلوقاته لا من عالم الأرض ولا من عالم السماء بل هو وحده انفرد بخلقهم وإيجادهم وامتن عليهم بذلك ﴿ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ [٢] ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدَّر فهدى﴾ [٣]. وانفرد بالرزق فهو الرزاق ذو القوة المتين كما صرح بذلك في قوله عزّ وجلّ ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [٤] وهكذا قول الحق سبحانه ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [٥] أي أن سبب الأرزاق الأمطار التي ينزلها الله عزّ وجلّ من السماء على الأرض فتهتز الأرض وتنشق عن النبات، فتأكل جميع المخلوقات من ذلك على اختلاف أصنافهم وذلك من فضل الله ومن عطائه ورزقه ليس لأحد في ذلك يد. وهكذا أتى الامتنان بالرزق في آيات متعددات وما ذلك إلا لتكون الأمة أمة شاكرة لله عزّ وجلّ على عطائه

[١] سورة العلق الآيتان [١، ٢].

[٢] سورة الإنفطار الآيتان [٦، ٧].

[٣] سورة الأعلى الآيات [١، ٢، ٣].

[٤] سورة الذاريات آية [٥٨].

[٥] سورة الذاريات آية [٢٢].

وعلى سعة رزقه، كما قال الله عزّ وجلّ ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾[١] الآية.

والخلاصة أن الله عزّ وجلّ خلق الخليقة برها وفاجرها مؤمنها وكافرها صامتها وناطقها جامدها ومتحركها، خلق ورزق وحفظ وقدّر ويسرّ الأمور وسهل كل ذلك لتحقق الأمة مراد الله تبارك وتعالى منها كما في قوله عزّ وجلّ ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾[٢] خلقهم في أحسن تقويم وكرمهم، كرم بني آدم بأنواع من الكرامات لا تدخل تحت العدَّ والحصر وامتن عليهم بذلك في قوله تعالى ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[٣] ركّب فيهم العقول وركّب فيهم الحواس التي تدرك بها المصالح بأن جعل لهم سمعاً يسمعون به ما يحتاجون إليه من الواجبات والمباحات، ويسمعون به العلم وكلمة الحق والخير ويسمعون ما يحتاجون

[١] سورة يونس آية [٣١].

[٢] سورة الذاريات الآيات [٥٦، ٥٧، ٥٨].

[٣] سورة الإسراء آية [٧٠].

إلى سماعه في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم وعلاقاتهم الاجتماعية والأسرية، وجعل لهم أبصاراً يبصرون بها ما يحتاجون إليه وجعل لهم أفئدة قلوباً وعقولاً يميزون بها بين النافع والضار وبين الحق والباطل وبين الصالح والطالح، ومع هذه النعم التي أشرت إلى بعضها لم يتركهم الله تبارك وتعالى هَمَلاً لا يُؤمرون ولا يُنهون ولم يكلهم إلى عقولهم وحواسهم بل أرسل إليهم رسلاً من لدن آدم عليهم السلام إلى أن خُتمت الرسالات والنبوات برسالة نبينا محمد ﷺ وأنزل عليهم كتباً يبينها أولئك الرسل ويبينها الأنبياء الذين يأتون بعد الرسل ويبينها العلماء الربانيون الذين درسوا وتذاكروا وتعلموا ماجاء به الرسل من عند الله عزّ وجلّ وبذلك قامت الحجة وانقطعت المعذرة كما قال الله عزّ وجلّ ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [١].

فبرسالات الرسل وبلوغ دعوتهم إلى الخلق تنقطع الحجة ويبطل الاعتذار يوم يسألهم الله تبارك وتعالى عن ماجاء به المرسلون.

ورتب الله تبارك وتعالى على طاعة الرسل رضاه والجنة لأن الله عزّ وجلّ أرسلهم ليطاعوا وختمهم برسالة نبيه محمد ﷺ ليُطاع فلا يُعصى، وأشار

(١) سورة النساء آية [١٦٥].

إلى ذلك بقوله سبحانه ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليُطاع بإذن الله ﴾[١] وكما قال عزّ وجلّ ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾[٢] وناداهم بنداء لطيف آمراً لهم بطاعته وطاعة رسوله وطاعة ولي أمر المسلمين فقال ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[٣].

وأرشدهم عند التنازع والاختلاف أن يرجعوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام بعد وفاته ﴿ فإن تنازعتم في شيئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾[٤].

ومن عصى الرسل دخل النار وكتب الله عليه مقته وسخطه وغضبه وصبَّ عليه أليم عذابه لأنه هو الذي ظلم نفسه برفض ما جاء به المرسلون ومتابعة الهوى والشيطان والنفس الأمّارة بالسوء وهذه الأنواع الثلاثة شر ودعاة ضلال. فالهوى يهوي بصاحبه في النار وبئس القرار والعياذ بالله.

والشيطان كما أخبرنا الله عزّ وجلّ عنه وحذرنا منه بقوله ﴿ ياأيها الذين

[١] سورة النساء آية [٦٤].

[٢] سورة النساء آية [٦٩].

[٣] سورة النساء آية [٥٩].

(٤) سورة النساء آية [٥٩].

آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [١] فأخبرنا الله عزّ وجلّ عن قبح دعوة الشيطان لنحذرها وكل معصية من قول وفعل ظاهراً أو باطناً يرتكس فيها العبد فهي نتيجة لاستجابته لدعوة الشيطان ولخطر ذلك جاء التنبيه للأمة والإرشاد والتوجيه في كتاب الله عزّ وجلّ للأمة لتحذر الهوى ولتحذر متابعة الشيطان ولتحذر تلبية أمنيات النفس الأمّارة بالسوء في آيات متعددات كما في قول الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة والسلام وأمته تبع له في الخطاب ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [٢] وفي قوله عزّ وجلّ ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [٣] وفي قوله تبارك وتعالى ﴿ أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ [٤] وهكذا قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ [٥] وقال في حق الشيطان

[١] سورة النور آية [٢١].

[٢] سورة الأنعام آية [١١٦].

[٣] سورة ص آية [٢٦].

[٤] سورة الجاثية آية [٢٣].

[٥] سورة يوسف آية [٥٣].

والتحذير من متابعته وبيان عاقبة المتابعة ﴿إنّ وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [١] ﴿إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدواً إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [٢] وهكذا كم لها من نظائر في كتاب الله عزّ وجلّ.

إذن فسعادة الدارين محصورة في طاعة الله وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام كما أمر الله وبيّن وأنزل في كتبه التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف إبراهيم وموسى وأن الشقاء والضلال سببه معصية الرسل ورد دعوتهم والخروج عن طاعة الله تبارك وتعالى لذا قال المصنف في جملتين قصيرتين في حق الرسول ﷺ " بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار".

وحيث أن مسائل العلم لابد أن تؤيد بالأدلة وذلك إذا قال الإنسان هذا حلال وهذا حرام وهذا حق وهذا باطل وهذه طريق الهدى وتلك طرق الضلال لابد أن يدلل على ذلك من مصدرين عظيمين كتاب الله المبين وسنة الرسول الأمين ﷺ فمن جملة الأدلة على أن الله أرسل إلينا رسولاً كما أرسل إلى الأمم السابقة رسلاً قول الله عزّ وجلّ ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً

[١] سورة لقمان آية [٣٣].

[٢] سورة فاطر آية [٦].

شاهداً عليكم ﴾[١] وهو خطاب لأمة محمد ﷺ والمراد بهم: هم كل من بعث النبي ﷺ وهم على وجه الأرض كلهم أمة محمد ﷺ تجب عليهم طاعته والتقيد بشرعه المطهر ولا عذر لأحد أن يتعبد بشريعة من الشرائع السابقة بعد بعثة النبي ﷺ، ولا تقبل دعوى أحد يدّعي بأنه يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ كماوسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام.

والأدلة على ذلك قائمة منها قوله تبارك وتعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ﴾[٢] وكلمة الناس شاملة لجميع الأناسي من العرب والعجم، وهكذا قول الله عزّ وجلّ ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[٣] ولم يستثن من أنزل الله على رسلهم وأنبيائهم شرائع سلفت وهم ورثوا ذلك لأن القرآن مهيمن على جميع الكتب ورسالة النبي ﷺ عامة وشاملة، ولا يجزئ من أحد أن يتعبد بشيء مما جاء به الرسل الأولون لم يكن في شرعنا الشريف لكمال هذا الدين وتمامه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[٤].

[١] سورة المزمل آية [١٥].

[٢] سورة سبأ آية [٢٨].

[٣] سورة الأعراف آية [١٥٨]

[٤] سورة المائدة آية [٣]

وأكد النبي ﷺ ذلك بقوله (والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار) [١] .

إذن : فالأدلة قائمة كما أسلفت بأن أمة محمد ﷺ هم كل من بعث النبي ﷺ وهم على وجه الأرض من العرب والعجم فهو مخاطب ومكلف ومسؤول عن رسالة النبي ﷺ وقد بعث على رأس الأربعين من عمره وتاريخ بعثته معروف ومشهور في كتب التأريخ والسير ، وهذا لا يدفعه إلا المبطلون من اليهود أو النصارى أصحاب التحريف والتفريط والإفراط والجفاءوالغلو في رسلهم وأنبيائهم ، قالوا إننا نحن أهل الشرائع الكبار فنحن على شريعتنا ومن يصدق منهم أن النبي ﷺ رسول مبعوث ـ قال إنما هو ـ إلى العرب خاصة ويدلي بشبه من القرآن على زعمه أنها تصلح دليلاً كما في قول الله عز وجل ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ [٢] فيقولون إن رسالة النبي ﷺ إنما هي لأهل مكة والقرى المجاورة لها وما عدا ذلك فهم أتباع الرسالات الكبار كالتوراة والإنجيل وكذبوا في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى ختم الرسالات والنبوات برسالة النبي ﷺ وختم الكتب المنزلة بالفرقان الذي لا كتاب بعده والرسول الذي لا نبي بعده فهو خاتم

[١] سبق تخريجه ص [٧] .

[٢] سورة الأنعام آية [٩٢] .

الأنبياء والمرسلين ولا يصح من أحد من عباد الله إلا أن يتقيد بشرعه الكريم إذن فالرسول شاهد على أمته ، وقد بين الله عز وجل تلك الشهادة وأنها ستكون حقاً يوم القيامة حيث قال سبحانه وتعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ [١]

وقد ثبت في السنن ومسند الإمام أحمد [٢] أن الله تبارك وتعالى يوم يجمع الأمم أولها وآخرها ويدعى نوح عليه السلام ويسأل هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم بلغتهم فيقال لقومه هل بلغكم نوح ؟ فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك ؟ فيقول نوح محمد وأمته فتأتي أمة محمد شاهدة على قوم نوح بأنهم أتاهم ودعاهم وحذّر وأنذّر ودعا سراً وجهراً وليلاً ونهاراً ، فتدان أمة نوح وتؤخذ بذنوبها وهذا من مقتضى حكمة الله وكمال عدله ،ثم يشهد النبي ﷺ على أمته بأنه بلغهم. [٣]

[١] سورة النساء آية [٤١] .

[٢] هو الإمام العالم الحجة المجتهد البارع الحافظ أبو عبد الله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني له مصنفات ومن أشهرها مسنده ولد سنة ١٦٤ هـ ، وتوفي سنة ٢٤١ هـ .

[٣] ولفظه : عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ " يجيئ نوح وأمته ، فيقول الله تعالى : هل بلغت؟ فيقول : نعم، أي رب . فيقول لأمته : هل بلغكم؟ فيقولون : لا ، ماجاء من نبي . فيقول لنوح : من يشهد لك؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته ، فتشهد أنه قد بلّغ ، وهو قوله جل ذكره ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ ، والوسط : العدل . أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣ / ٢٢ و ٤ / ١٣ ، ٥ / ٤ والبخاري في كتاب

=

أما شهادة أمة محمد، أمة الإجابة، أهل الإيمان بالقرآن، فإنهم يعتمدون فيها على ما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ الفرقان الذي يقرؤونه ويتلونه في كل وقت وحين، ومن جملة ذلك قول الله عز وجلّ ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال ياقوم إني لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾[١] إلخ السورة، لقد اعتمدوا على كلام ربهم وشهدوا بحق ويشهد النبي ﷺ على أمته بأنه بلغهم وكفى بشهادته حقاً وصدقاً.

وأخبر الله عزّ وجلّ أمة محمد بأن إرسال الرسل وإنزال الكتب على الأمم سنة قائمة جارية في العباد لئلا يكون لهم حجة على الله عزّ وجلّ حيث قال ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾[٢] وهو موسى عليه السلام وقد دعا فرعون وقومه دعاهم وذكّرهم بالله ودلّل لهم بأن الله عزّ وجلّ هو خالقهم ورازقهم فهو المستحق أن يُعبد وأنه هو العلي الأعلى فاستكبر فرعون وموّه

= أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة ٢ / ٤٥٣ (٣٣٣٩)، وكتاب التفسير باب ذكره ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ ٣ / ١٩٣ (٤٤٧٨)، وكتاب الاعتصام باب ذكره ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ ٤ / ٣٧٢ (٧٣٤٩) والترمذي في كتاب تفسير القرآن ٥ / ١٩٠ (٢٩٦١) وابن ماجه في كتاب الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ ٣ / ١٣٤٢ (٤٢٨٤) بنحوه.

[١] سورة نوح الآيات [١، ٢، ٣].

[٢] سورة المزمل آية [١٥]

على قومه قائلاً ما قصّه الله عنه ﴿ يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾.[١]

وهكذا في قول الله عزّ وجلّ ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾[٢] فبين الله عزّ وجلّ أنه أرسل إليه رسولاً فعصى فرعون الرسول فترتبت على المعصية العقوبة العاجلة والعقوبة الآجلة، وهكذا سنة الله مع كل الأمم أن المعصية تترتب عليها عقوبات دنيوية وبرزخية وأخروية بحسب الجرائم وبحسب المعصية والمخالفات ﴿ ولايظلم ربك أحداً ﴾.[٣]

وقد تكون العقوبة عاجلة تتبعها الآجلة وقد تكون العقوبة آجلة بحيث يمهل العاصي وتغدق عليه النعم وتتوالى لديه الصحة والغنى والأمن والاستقرار وهو مكب على معاصي الله وذلك لحقارة الدنيا عند الله عزّ وجلّ بيد أن العاصي له يوم يرجع فيه إلى الله لايفك الناس فيه إلاّ عدلهم ولا يحبسهم إلا ظلمهم وجورهم.

وقد قال الله عزّ وجلّ في هذا المعنى ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى

[١] سورة القصص آية [٣٨].

[٢] سورة النازعات آية [٢٤].

[٣] سورة الكهف آية [٤٩].

والمسألة الثانية (أن الله لايرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل والدليل قوله تعالى ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ [١]

وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ [١] وقال النبي ﷺ (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) [٢] وهو تعبير يشعر بشدة العقوبة، وقوة البطش ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ [٣] لذا قال الله عزّ وجلّ ﴿ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾ [٤] أي شديداً في غاية الشدة، وهو تنبيه لأمة محمد ﷺ ليبتعدوا عن فعل فرعون وقومه ويقبلوا على طاعة نبيهم محمد ﷺ ، لأن الله أخبرهم بأن سنته القائمة على الحق أنه إذا أرسل رسولاً ألزم الناس بطاعته ومتابعته فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

[١] المسألة الثانية (أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملكمقرب ولا نبي مرسل والدليل قوله تعالى ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا

---

[١] سورة هود آية [١٠٢]

[٢] وتكملة الحديث قال: ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " : وأخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن سورة هود باب " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " ٣ / ٢٤٣ (٤٦٨٦) عن أبي موسى.

ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٧ (٢٥٨٣) بنحوه.

وابن ماجه في كتاب الفتن باب العقوبات ٢ / ١٣٣٢ (٤٠١٨) بنحوه.

والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الغصب باب تحريم الغصب وأخذ أموال الناس بغير حق ٦ / ١٥٦ (١١٥٠٧).

[٣] سورة البروج آية [١٢].

[٤] سورة المزمل آية [١٦].

مع الله أحداً ﴾ [١].

وحقاً أن الله الذي انفرد بخلق العباد ورزقهم وهو المتصرف فيهم والمدبر لشؤونهم لايرضى أن يكون له شريك في عبادته، والعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة، فمن صرف العبادات لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر.

ومن أشرك مع الله عزّ وجلّ غيره من مخلوقاته فقد أشرك شركاً أكبر.

إذن فجميع العبادات والقربات من استعانة واستغاثة وذبح ونذر ورغبة ورهبة وخشوع وخشية وإنابة وتوكل ورجاء وخوف كل ذلك من العبادات التي لايجوز أن تصرف لغير الله أو يكون مع الله فيها شريك لأن الله لايرضى ذلك، والشرك أكبر ذنب عصي الله به وهو الذنب الذي لايغفر ولايستحق أهله الشفاعة وإنما هم من أهل النار خالدين مخلدين كما قال الله عزّ وجلّ ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ [٢].

وقال ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ [٣] أي لاتعبدوا أحداً مع الله أبداً لا من الملائكة المقربين ولا من الرسل الكرام ولا من الأنبياء العظام

[١] سورة الجن آية [١٨].

[٢] سورة النساء آية [٤٨] و [١١٦].

[٣] سورة الجن آية [١٨].

ولا من الصالحين من الأنام ولا الأشجار ولا الأحجار ولا غير ذلك إذ كل عبادة لغير الله عزّ وجلّ فهي عبادة للطاغوت.

ولايستبعد المسلمون خطر الشرك فالشرك خطير كبيره وصغيره قليله وكثيره ومن هنا وجب أن يتفقد المسلمون وبالأخص طلبة العلم أن يتفقدوا أحوالهم ويتفقدوا أعمالهم ويتفقدوا تصرفاتهم وماتقوم به قلوبهم، يتفقدون ذلك في كل لحظة من لحظات العمر لئلا يشوب الأعمال شرك بالله ويتفقدون أحوال الناس، ويبذلون لهم التعليم والتوجيه حتى لا يقعوا في شيئ من ضروب الشرك فيهلكوا وقد أخبر النبي ﷺ بأنه يخاف على أمته من الشرك خوفاً عظيماً حيث قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما هو قال الرياء) [١] فإنه ضرب من ضروب الشرك فلابد من تحقيق التوحيد ظاهراً وباطناً والبراءة من الشرك وأهله وتفقد النفس لئلا يدخل عليها ضرب من ضروب الشرك أو صورة من صوره الخطيرة.

وقد سُئل النبي ﷺ كما في حديث عبدالله بن مسعود حيث قال له

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٧ و ٥/٢٢٨ و ٢٢٩ والطبراني ٤/٢٥٣ (٤٣٠١)

(يارسول الله أي الذنب أعظم؟ قال : " أن تجعل لله نداً وهو خلقك)[١] لعظم ذنب الشرك وخطره على الناس.

ونقتصر على هاتين المسألتين وإلى درس قادم إن شاء الله تعالى وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

[١] سبق تخريجه ص [٢٨].

المسألة الثالثة وهي: أن من أطاع الرسول ووحد الله لايجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.[١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه:

مضى معنا شرح مسألتين من هذه المسائل الثلاث

المسألة الأولى: هي قول المؤلف (أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار).

المسألة الثانية: (أن الله لايرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل)، وغيرهم من باب أولى، وعرفنا معنى الشرك وأنواع الشرك وخطره على الأمة وأن منه الخفي الذي يحتاج معه العباد إلى تفقد أنفسهم وقلوبهم وأعمالهم.

وموضوع الدرس هذه الليلة هو

[١] المسألة الثالثة: وهي (أن من أطاع الرسول ووحد الله لايجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب)

وبيان ذلك أن أتباع محمد ﷺ يحبون في الله ويبغضون في الله وهذه قاعدة يطبقها ويتفاعل معها أهل الحق، وأهل السنة والجماعة من سلفنا الصالحين وأتباعهم إلى يوم الدين، كل من أطاع الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله عزّ وجلّ من كتاب وسنة ووحد الله في ربوبيته وإلهيته

وأسمائه وصفاته وجميع أفعاله فإنه لايجوز له موالاة أي محبة وموافقة من كان محادّاً لله، محاداً لشرع الله الكريم، ومحادّاً لما جاء به رسوله ﷺ ولو كان من أقرب الناس إليه.

ومن هنا يجب أن يعرف طالب العلم حقيقة الولاء والبراء أيْ، من الذي يجب أن يحب ويوالى، وعلى أي شيئ تكون المحبة والولاء،وما هي أسباب المعاداة والهجر والبغض، هذه أمور من أسس العقيدة، وعليه فإن كل من أطاع النبي ﷺ ووحد الله في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، يجب أن يكون حبه في الله وبغضه في الله وموالاته في الله، ومعاداته في الله، فإذا هو فعل ذلك فقد حقق التمسك بعروة الإيمان وقد نال ولاية الله تبارك وتعالى التي لاتنال إلا بذلك.

وقد علم أصحاب النبي ﷺ قاعدة الولاء والبراء، لمن يكون الولاء وممن يكون البراء وتفاعلوا مع هذه القاعدة فبرز الإبن لأبيه ليقتله لأنه عدو لله، وبعضهم برز لابنه ليقتله لأنه على غير منهج الإسلام، وهذا معروف من سبب النزول لهذه الآية الكريمة ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ [١] إلخ الآية، حيث أنها نزلت في أبي عبيدة

[١] سورة المجادلة آية [٢٢].

عامر بن الجراح الذي قتل أباه لأنه كافر وفي أبي بكر لأنه برز لابنه وكان كافراً،[١] ليحققوا مبدأ الولاء والبراء، فأنزل الله فيهما وفي أمثالهما هذا القرآن الذي يُتلى إلى ماشاء الله إلى أن يرفعه الله تبارك وتعالى من الصدور ويرفعه من الأرض.

وموضوع الولاء والبراء يحتاج إلى شيئ من التفصيل، فالولاء درجات بحسب من توالي، والبراء كذلك درجات، فمن كان على منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة والمعاملة والأدب والسلوك وعلى أخوة الإسلام والإيمان والإحسان فهذا له من الولاء أعلاه وأكمله بعد ولاء الله ورسوله

[١] قال القرطبي قال السدي: نزلت في عبدالله بن عبدالله بن أبي، جلس إلى النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ ماء، فقال له: يارسول الله ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبي، لعل الله يطهر بها قلبه؟ فأفضل له فأتاه بها، فقال له عبدالله: ماهذا؟ فقال: هي فضلة من شراب النبي ﷺ جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها. فقال له أبوه: فهلا جئتني ببول أمك فهو أطهر منها. فغضب وجاء إلى النبي ﷺ، وقال: يارسول الله أما أذنت لي في قتل أبي؟ فقال النبي ﷺ: (بل ترفق به وتحسن إليه). وقال ابن جريج حُدِّثتُ أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبوبكر ابنه صكة فسقط منها على وجهه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال: (أو فعلته، لاتعد إليه) فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لو كان السيف مني قريباً لقتلته. وقال ابن مسعود: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبدالله بن الجراح يوم أحد وقيل: يوم بدر. وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد عليه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾. واستدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالسهم.

قال قلت: وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان.

الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٩٩ باختصار.

ﷺ ، وفي هذا المعنى قال الله عزّ وجلّ ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[١] . ويتجلى الولاء في الله عزّ وجلّ في الحب فيه والبغض فيه ، والولاء في حق رسول الله ﷺ محبته واتباع أمره واجتناب نهيه والتأسي به ومحبة اتباعه عموماً محبة شرعية إلى يوم القيامة وهي من العبادات الفاضلة ، ومن علامات أهل الإيمان ومن صفاتهم وخصائصهم التي يمتازون بها على غيرهم . ومن كان دون ذلك من المسلمين فله من الموالاة بحسب مامعه من الإسلام والإيمان والإحسان ، ويبغض بقدر ما فيه من المعصية والفسق .

ومن كان من أهل البدع المضلة على اختلاف أنواع أهل البدع وهم كُثُر فهؤلاء ماداموا في محيط الإسلام ومن جملة المسلمين ما أخرجتهم بدعهم عن الإسلام فهؤلاء يبغضون بقدر معاصيهم وبدعهم ويهجرون وتهجر مجالسهم ومكالمتهم ، ولايؤخذ العلم عنهم وذلك بحسب المصلحة التي تترتب على هجرهم والابتعاد عنهم[٢] ، فكم من إنسان سليم الفطرة قابل

[١] سورة المائدة الآيتان [٥٦ ، ٥٧] .

[٢] قال الشيخ إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني " ويجانبون أهل البدع والضلالات ، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات ، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ، ولا يحبونهم ، ولا يصحبونهم ، =

للخير يلتمس الخير ويلتمس الصلاح لنفسه فيتسلط عليه أهل البدع على اختلاف أنواعهم، إما الجهمية[١] المعطلة ،وإما المعتزلة[٢] وإما الأشاعرة[٣] ومن والاهم وإما أهل الحزبيات والتنظيمات السرية على اختلاف جماعاتهم التي قد تعددت وتنوعت مشاربها، هؤلاء كلهم أهل بدع، إذا تسلطوا على طالب العلم ، وأتوه من ناحية المحبة والأخوة ونصرة الإسلام وماشاكل ذلك استمالوه حتى يتمكنوا منه وبعد ذلك يعطوه من تعليماتهم المنحرفة شيئاً فشيئاً حتى يصبح فرداً من أفرادهم وجندياً من جنودهم على غير منهج

= ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولايجادلونهم في الدين، ولايناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت في الآذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة " وقال " واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم، وإخزائهم، وإبعادهم، وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عزّ وجلّ بمجانبتهم ومهاجرتهم.

انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (١٠٥) ، ص (١١٣) باختصار.

[١] الجهمية: أصحاب الجهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء . الملل والنحل ١ / ٧٣

(٢) المعتزلة : أصحاب واصل بن عطاء الغزال لما اعتزل مجلس الحسن البصري، يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فطرده ، فاعتزله وتبعته جماعة سموا المعتزلة . الملل والنحل ١ / ٣٨.

(٣) الأشاعرة : هم فرقة أسسها أبو حسن الأشعري في أول أمره بعد اختلافه مع المعتزلة غير أنه رجع إلى مذهب السلف ومصدر التلقي عندهم العقل ويبطلون بعض الصفات ويأولون بعضها

الأجوبة السديدة للشارح ٤ / ٥٣ بتصرف.

مستقيم ، وإنما على البدع والتضليل وإثارة الفتن . وهذا موجود في صفوف الحزبيين على اختلاف أنواعهم والحركيين على اختلاف مسمياتهم .

ومن هنا وجب النصح لطلبة العلم أن يحذروا أهل البدع وأن يجتنبوا مجالسهم ، وإن ألانوا لهم الكلام وبذلوا لهم من المعروف شيئاً كثيراً فإن منهج السلف وعقيدة السلف التي تتجلى في فهم الإسلام والإيمان والإحسان فهماً صحيحاً لا يجوز للإنسان أن يتاجر بها أو أن يجامل بها ، فعقيدتك الصحيحة ومنهجك الحق هما رأس مالك ، من أجلهما خلقت وفي سبيلهما تجاهد بكلمة الحق وبالقلم وتذب عن سنة النبي ﷺ البيضاء النقية التي دنسها أهل البدع على اختلاف بدعهم ، سواءً من أهل النحل القديمة أو من أهل البدع المعاصرة ، لذا نقول في حق المبتدع يحب بما عنده من إسلام ويبغض ويهجر ويقاطع مجلسه ومواصلته حتى يترك بدعته التي يدعو الناس إليها وذلك بحسب المصلحة ودرأ المفسدة .

وإن هذه الجماعات الموجودة على الساحة تحمل بدعاً متعددة ، يجب أن يقال الحق ويبين ولا يكتم ، لايحملون بدعة واحدة وإنما يحملون بدعاً متعددة ، فالتنظيمات السرية في دولة مسلمة من البدع ، والمجالس السرية

دون عوام الناس [١] بحجة المذاكرة وقراءة العلم هذه من البدع، وهكذا الانصراف عن العلوم الشرعية التي تربط شباب الأمة بخالقهم وبارئهم سبحانه وبسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام والعناية بها والذب عنها، كل هذه من البدع التي وقعت فيها الجماعات الموجودة على الساحة، كالإخوانية [٢] والتبليغية [٣] ومن جرى مجراهم ومن سلك في مسلكهم ونهج منهجهم، فالحذر الحذر من كل أصحاب بدعة خرجوا عن المنهج الحق إلى منهج وافد

[١] عن الأوزاعي قال: قال عمر بن عبدالعزيز " إذا رأيت قوماً يتناجون بأمر دون عامتهم فهم على تأسيس ضلالة. " أخرجه الدارمي في المقدمة باب في اجتناب الأهواء ١ / ١٠٣ (٣٠٧).

[٢] هي " جماعة الإخوان المسلمين " قام بتأسيسها حسن بن أحمد البنا ولد عام ١٣٢٤هـ في مصر ـ وتوفي عام ١٣٦٨هـ والذي تربى على الطريقة الصوفية " الحصافية " وأخذ بيعتها على يد بسيوني العبد ثم على يد عبد الوهاب الحصافي نائب رئيس الطريقة وواظب على حضرتها وكان الهدف من حركته جذب جميع المسلمين في مصر على اختلاف مناهجهم بين السلفية والصوفية فعرفت نفسها بأنها " دعوة سلفية و " طريقة سنية " و " حقيقة صوفية " وأرادت أن تجمع في عضويتها بين طالب الدين والدنيا فأضافت أنها " هيئة سياسية " و " جماعة رياضية " و " رابطة علمية ثقافية " و " شركة اقتصادية " و " فكرة اجتماعية ".

حقيقة الدعوة إلى الله تعالى ص [٨٦] و ص [٨٨] بتصرف.

[٣] جماعة قام بتأسيسها محمد بن إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي ولد عام ١٣٠٢هـ وتوفى عام ١٣٦٣هـ الديوبندي منهجا، الحنفي مذهبا، الأشعري ـ الماتوريدي عقيدة، الصوفي طريقة.

ولهم أصول ستة أو صفات ستة وهي:

١ـ " تحقيق الكلمة الطيبة: لاإله إلا الله محمد رسول الله ".

٢ـ " الصلاة ذات الخشوع والخضوع ".

=

اخترعه من يجهل الأمور، والأدلة على ذلك قائمة أنهم يجهلون الأمور، فالمؤسسون لها يجهلون الأمور، فإذا كان الولاء والبراء قاعدة إيمانية، فإن بعض قادة المؤسسين لهذه الجماعة، لم يطبقوا باب الولاء والبراء على الوجه المراد منهم شرعاً، وأضرب لذلكم مثالاً: ـ

بعض زعماء هذه الجماعة [١] صرّح في رسائله ومنشوراته (بأن الرافضة [٢] أخوة للمسلمين وما الخلاف بيننا وبينهم إلا في فروع المسائل كالخلاف بين المذاهب أي بين الأئمة الأربعة) [٣] وهذا قياس فاسد، فالرافضة معروفون

= ٣ـ " العلم " (بالفضائل لا المسائل) " مع الذكر ".

٤ـ " إكرام المسلم ".

٥ ـ تصحيح النية ".

٦ـ " الدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله (على منهج التبليغ)

ولكل من هذه الأصول أو الصفات " مقصد " و " فضيلة " و " طريقة حصول " محددة.

حقيقة الدعوة إلى الله تعالى ص [٧٥] و ص [٨٠] بتصرف.

[١] يقصد الشيخ حفظه الله مؤسس جماعة " الإخوان المسلمون " حسن البنا.

[٢] الرفض بمعنى الترك وهم الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويتبرأون منهما ويسبون أصحاب النبي ﷺ وينتقصونهم. بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ١ / ٨٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وأما لفظ ؛ الرافضة " فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبدالملك واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة) الفتاوى ١٣ / ٣٥.

[٣] أنظر الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة للشارح ٥ / ٤٣ و ٤٤.

بسوء معتقدهم وقبيح أفعالهم وسوء تصرفاتهم فبالإضافة إلى الشركيات ضموا إليها بُغْض أصحاب النبي ﷺ إلا بضعة نفر وفي مقدمة من يبغضون بل ويلعنون أبوبكر وعمر رضي الله عنهما اللذان هما خير من وطئت أقدامهم الأرض بعد رسول الله ﷺ بإجماع أمة الإسلام فعندما يقول مؤسس جماعة الإخوان بأن الرافضة أخوة للسنيين، هذا من أفحش الخطأ ومنكر من القول، وهو تعبير يدل على جهل قائله بمنهج أهل السنة والجماعة، وهو قد مات رحمه الله، وأفضى إلى ما قدم، ولكن الذين يدافعون عن هذا المنهج الذي أسس على مثل هذه القواعد السيئة، هؤلاء الذين يجب أن يُبين أمرهم وأن يُحَذَّر منهم وأن تُجتنب مجالسهم لئلا ينفثوا سمومهم في أبنائنا وفي شبابنا وفي إخواننا.

وهكذا يقول المؤسس لهذه الجماعة (إنه ليس بيننا وبين اليهود عداء ديني وإنما بيننا وبينهم خلاف في الاقتصاد) [١]، وهذا منكر من القول لأن الله عزّوجلّ أعلن عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين بقوله تبارك وتعالى ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ [٢] فجهل

[١] انظر كتاب " الإخوان المسلمون أحداث صنعت التأريخ " ص (٤٠٩).

[٢] سورة المائدة آية [٨٢].

هذه الآية رغم وضوحها وجلائها وإحكامها يترتب عليه شيئ خطير وهكذا يأتي المؤسس المذكور إلى باب الأسماء والصفات فيقول (هذه نصوص نفوض أمرها إلى الله)[١]، وخالف أهل السنة والجماعة في هذا، فأهل السنة والجماعة لايفوضون المعاني ولكن يفوضون الكيفيات، أي كيفية صفات الله عزّ وجلّ يفوضونها إلى الله وأما المعاني فهي واضحة وظاهرة لأن الله عزّ وجلّ خاطبنا بما نعرف ونفهم وأمرنا بتدبر هذا القرآن من فاتحته إلى خاتمته، من أجل أن نفهم المعنى.

وهكذا فيما يتعلق بوجوب البيعة السائرة في هذا المنهج الذي لا يجوز أن تطبق وبالأخص في دولة مسلمة لواليها بيعة في أعناق المسلمين وله نوابه وأمراؤه وقضاته.

أيْ لايجوز أن تكون هناك بيعة وإن سماها الإخوان المسلمون بيعة على البر والتقوى فإنَّ هذا تملص من الواقع، أما المؤسس الأول لجماعة الإخوان فإنه قال في خطابه (ألا إن أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها)[٢] وهكذا المنهج أُخذ

[١] انظر رسالة العقائد ص [٧٤] و ص [٧٦].

[٢] مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص (٧) [أيها الإخوان الصادقون أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها " الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة ".

وانظر رسالة التعاليم لحسن البنا ص (٣) والمدخل لدعوة الإخوان لسعيد حوى ص (٣٠).

عنهم. كذلك ما حققوا الولاء والبراء الذي نتحدث عنه هنا الآن في هذا الدرس فيما يتعلق بمؤاخاتهم ومصافاتهم للصوفية [١] الضالة المضلة فقدأثنى عليهم مؤسس جماعة الإخوان ثناءً عاطراً، على طريقة تسمى الطريقة الميرغنية [٢]، لما احتفل بصاحب الطريقة محمد عثمان الميرغني وألقى خطاباً سجلته وثائق التاريخ قال (إن دعوة الإخوان لاتنسى فضلهم فما قامت إلا على كواهلهم وما استقامت إلا بمساعيهم الميرغنية [٣]) وسماهم أقطاب الإسلام، إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على جهله بخطر الطرق الصوفية التي ليس لها مصدر من كتاب الله وسنة النبي ﷺ وإنما مصدرها

[١] سموا بذلك نسبة إلى لبس الصوف، ومصادر التلقي الرئيسية عند فرق الصوفية عموماً، ثلاثة مصادر، وهي الكشف والذوق والوجد وتحت كل قسم منها أقسام ودرجات وهذا لاينفي وجود مصادر أخرى غير هذه الثلاثة.

المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص (٣١) وص (١٨٣).

[٢] نسبة إلى عثمان الميرغني ثم وارث أبيه محمد عثمان الميرغني المتوفى عام ١٣٦٨هـ والذي كان يقول عن نفسه (من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار، ولا حرج على ذلك فإن الله يختص برحمته من يشاء) وسمى نفسه الختم أو خاتم الأولياء وجعل هذا الاسم علما على طريقته الصوفية حيث سماها " الختمية " أي خاتمة الطرق جميعا وما يدعيه في تفضيل نفسه على سائر الأمة جميعا بما فيهم أبوبكر وعمر.

الأجوبة السديدة للشارح ٣و٤ / ٢٦٤.

[٣] والخطاب الذي ألقاه البنا في دار الإخوان في القاهرة في ٩ / ٦ / ١٩٤٨م بمناسبة زيارة شيخ الطريقة في عصره المدعو / محمد بن عثمان الميرغني وارث أبيه.

الأجوبة السديدة للشارح ٣و٤ / ٢٦٤.

انظر كتاب قافلة الإخوان ٢ / ٨

التلقي عن المكاشفات وما يدعى من الكرامات كما يقولون، عن الكشف والوجد والمنامات والرؤى وما شاكل ذلك من المصادر التي جانبت كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

ثم إن المؤسس أشاد بالصوفية وبالطريقة التي تربى فيها (حسن البنا) وهي الطريقة الحصافية [١] وأثنى عليها في كتابه (مذكرات الدعوة والداعية) [٢].

إذن على هذا لماذا نحمل هذا المنهج؟ وندرس كتب هذا المنهج؟ ونوالي من انخرط في سلك أصحاب هذا المنهج؟ ونترك المنهج الصافي منهج سلفنا الصالحين الذين أخذوا علمهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وترسموا خطا العلماء الربانيين كالأئمة الأربعة ومن قبلهم ومن بعدهم على منهج الحق لم يخدعوا بأقوال أهل البدع وكلما طلع صاحب بدعة في القرون الثلاثة الأولى المفضلة تصدى له علماء ربانيون فردوا عليه بدعته وأشهروا أمره وبينوه للناس، بينوا بدعة القدرية [٣] نفاة القدر، وبينوا بدعة الجهمية وبينوا

[١] نسبة إلى حسنين الحصافي وهو شيخ الطريقة الأول ووالد شيخها الحالي عبدالوهاب الحصافي، وهي إحدى الطرق الصوفية.

[٢] ص [٢٢ - ٢٣].

[٣] القدرية أتباع معبد الجهني : يقولون إن العبد مجبور على أعماله الاختيارية، يفعلها دون اختياره، بل لا قدرة له على أعماله، وهم المعروفون بالجبرية، وقد يطلق عليهم اسم القدرية.

مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة ص (٢٩) بتصرف

بدعة المعتزلة، وهكذا كلما نبتت بدعة شيطانية بينها أولوا العلم الذين فهموا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ فهماً صحيحاً ينير الطريق وتنشرح له الصدور ويبصره من أراد الحق ليعيش في ظله ويموت عليه.

وهكذا لما جاءت البدع المتعددة كبدعة الصوفية، تصدى لهم العلماء الربانيون فردّ عليهم ابن تيمية[١] رحمه الله وهو الإمام الفذ والمجدد الناصح ورد عليهم تلميذه ابن القيم[٢] وغيرهما من علماء الشريعة ردوا عليهم بدعة الصوفية وأخبروا بأن دين الله كامل وأن هؤلاء الصوفية أتوا بشيئ جديد ليس له علاقة بكتاب الله وسنة النبي ﷺ ولم يأت ذكر التصوف بحال من الأحوال، ولهم طرق متعددة لايستطاع حصرها في مقام أو مقامات ولكن على العموم يحذر من جميع طرقها الغلاة وغير الغلاة وأخفها اجتماعاتهم على أذكار ليس لها أساس في القرآن الكريم ولافي كتب الحديث كالصحاح والسنن والمسانيد وكتب الأذكار وإنما هي أذكار مبتدعة. وفي هذه الأيام الماضية وجدت منشوراً ينشره رجل صوفي مصري اسمه (الحزب السيفي)

[١] هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي كان من بحور العلم ومن الأذكياء الكرماء الشجعان ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ عليه رحمة الله.

[٢] أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر المشهور بـ " ابن قيم الجوزية " واشتغل بعلوم الدين حتى بلغ رتبة الإمامة في الدين وتعرض لمحن عديدة كشيخه ابن تيمية رحمهما الله ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ.

رواه على ابن أبي طالب وليس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمة واحدة منه وهذا من باب الدجل على الناس وجلبهم إلى المنهج الصوفي الضال المضل.

ولهم اجتماعات ولهم مصطلحات في الذكر وتلاعب، يختصرون الذكر فيجلسون على كلمة (الله ـ الله) هكذا أو (لا إله) يلتفت يميناً ثم يقول (لا إله) مائة مرة أو مائتين ثم يلتفت عن يساره ويقول (إلا الله إلا الله) هكذا وهذا تلاعب [١] من الشيطان بهم واضح.

وبعض منظري وكتّاب منهج الإخوان المسلمين سلك هذا المسلك الردئ

[١] قال الشيخ حمود بن عبدالله التويجري " وقد ذكر بعض العلماء من التبليغيين نوعاً آخر من الذكر، وهو أنهم يكررون كلمة (لا إله) ستمائة مرة، ثم يكررون كلمة (إلا الله) أربعمائة مرة. وذكر آخر عن عدد كثير من الرجال أنهم سمعوا جماعة من التبليغيين الهنود وهم في بيت في شارع المنصور بمكة يكررون كلمة (لا إله) نحواً من ستمائة مرة، ثم بعد ذلك يكررون كلمة (إلا الله) نحواً من مائتي مرة، ويقولون ذلك بصوت جماعي مرتفع، يسمعه من كان في الشارع، وذلك بحضرة شيخ من كبار مشايخهم الهنود، وقد استمر فعلهم هذا مدة طويلة، وكانوا يفعلون ذلك في الشهر مرتين: مرة في نصفه، ومرة في آخره. ولاشك أن هذا من الاستهزاء بالله وبذكره، ولايخفى على من له علم وفهم أن فعلهم هذا يتضمن الكفر ستمائة مرة، لأن فصل النفي عن الإثبات في قوله (لا إله إلا الله) بزمن متراخ بين أول الكلمة وآخرها على وجه الاختيار يقتضي نفي الألوهية عن الله تعالى ستمائة مرة، وذلك صريح الكفر، ولو أن ذلك وقع من أحد مرة واحدة لكان كافراً صريحاً، فكيف بمن يفعل ذلك ستمائة مرة في مجلس واحد؟! ثم إن إتيانهم بكلمة الإثبات بعد فصلها عن كلمة النفي بزمن متراخ لايفيدهم شيئاً، وإنما هو التلاعب بذكر الله والاستهزاء به ".

القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ ص [٩].

كما سلك المؤسس الأول لمنهج الإخوان المسلمين.

وأنا بينت هذا في كتابي (الأجوبة السديدة)[١] مقروناً بأدلته ومن كتب القوم، كل ذلك ليعرف شباب الإسلام وطلاب العلم بأنه لايجوز لهم أن يوالوا أهل البدع وأن يأخذوا مناهج أهل البدع وبين أيديهم وبين ظهرانيهم كتاب الله الكريم وسنة النبي ﷺ ومنهج السلف الصافي من الكدر، فما هي إلا جماعة واحدة هي التي قال فيها النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن الطائفة الناجية المنصورة قال (هي الجماعة)[٢] ولم يقل الجماعات وما أكثر الجماعات في هذا الزمان ومن أشهرها جماعة الإخوان، وجماعة التبليغ، وجماعة حزب التحرير وجماعة حزب الإصلاح وجماعة شباب محمد

[١] ٣ و ٤ / من ص ٢٥٢ إلى ص ٢٦٨.

[٢] يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه ابن ماجه عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتتفرقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار" قيل يارسول الله: من هم؟ قال" الجماعة".

في كتاب الفتن باب افتراق الأمة ٢ / ١٣٢٢ (٣٩٩٢) و (٣٩٩٣).

والإمام أحمد في مسنده ٣ / ١٤٥ و ٤ / ١٠٢. وروى الحديث ابن أبي عاصم في كتاب السنة ١ / ٣٢ ـ ٣٣ من طرق عن عوف بن مالك وأنس ومعاوية وأبي هريرة وأبي أمامة.

وقد صححه الشيخ الألباني في تعليقه على كتاب السنة حيث قال: " والحديث صحيح قطعاً لأن له ست طرق أخرى عن أنس، وشواهد عن جمع من الصحابة."

وجماعة التكفير والهجرة [١]، وعدد من هذه الجماعات التي انحرفت عن الخط المستقيم الذي عليه سلفنا الصالحون بقدر مخالفتها.

فالحذر الحذر لتنجو من شرها ولا يمكن أن تسلم إلا إذا بذلت جهدك في العناية بكتاب الله عزّ وجلّ تلاوة وتدبراً للمعنى مع قراءة كتب التفسير المعتبرة كتفسير ابن كثير [٢] وتفسير ابن جرير [٣]

[١] مثل حزب التوحيد الإسلامي والجماعة القرآنية وجماعة الجهاد، وجماعة الجبهة الإسلامية وجماعة جبهة الإنقاذ، وكل حزب من هذه الأحزاب له فكر وخطوط ومنهج ابتكرها ونظمها مؤسسه ودعاته، وكل جماعة من تلك الجماعات لها كذلك أفكار متعددة، ومناهج مختلفة وأساليب خاصة، وتلتقي جميعها على مناوءة المنهج السلفي من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

انظر كتاب الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم للشارح ص ٥٦ بتصرف.

[٢] هو الإمام المقرئ المحدث المفسر المؤرخ الفقيه عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن كثير قرشي النسب دمشقي الدار، علم من أعلام المسلمين في القرن الثامن الهجري. ولد سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بيسير ونشأ في دمشق لازم الحافظ المزي محدث الشام في عصره وسمع عليه أكثر تصانيفه، وصاهره على ابنته وصحب شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه وفتن بحبه وامتحن لسببه . توفي في دمشق سنة ٧٧٤هـ له كثير من المؤلفات من أشهرها كتاب تفسير القرآن العظيم.

البداية والنهاية ١ / س من المقدمة

[٣] الإمام العالم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمُل طبرستان. ولد سنة ٢٢٤هـ. وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاءً، وكثرة تصانيف قلّ أن ترى العيون مثله، كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاط. علاّمة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك. توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٦٧ والبداية =

وتفسير السعدي[١] وتفسير البغوي[٢] وهذه فيها كفاية وفيهاغنية والعناية بسنة النبي ﷺ بالاطلاع على كتبها تبدأ بالكتب المختصرة ثم تتوسع حتى تقرأ الصحاح وتقرأ السنن وتقرأ المسانيد وهذا لايتم لك إلا إذا تركت تلك المناهج التي عدل أصحابها في جل تصرفاتهم عن منهج الحق الذي يجب أن نسلكه وأن نعتصم به على حد قول الله تبارك وتعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾[٣].

إذن أهل السنة والجماعة وعلماء السلف وأتباعهم هم الذين يطبقون هذه الآية الكريمة التي ختمت بها سورة المجادلة ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ والمحادّاة درجات متنوعة فمنهم من يحاد الله ورسوله فيخرج من الإسلام ومنهم من يحاد الله ورسوله بالبدع إذ

= ١١ / ١٤٥ وميزان الاعتدال ٣ / ٤٩٨ .

[١] هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي : مفسر من علماء الحنابلة من أصل نجد . مولده سنة ١٣٠٧هـ ووفاته سنة ١٣٧٦هـ في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨هـ) ، له نحو ٣٠ كتابا . انظر : الأعلام للزركلي ٣ / ٣٤٠ .

[٢] الشيخ الإمام ، العلامة القدوة الحافظ ، شيخ الإسلام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر صاحب التصانيف . ولد سنة ٤٣٦هـ ، وكان سيداً إماماً ، عالماً علامة ، زاهداً قانعاً باليسير ، بورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول التام ، وكان لا يلقي الدروس إلا على طهارة ، وكان مقتصداً في لباسه له ثوب خام ، وعمامة صغيرة على منهاج السلف حالاً وعقداً ، وله القدم الراسخ في التفسير ، والباع المديد في الفقه . توفى سنة ٥١٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٢ / ١٩٣ والأعلام للزركلي ٢ / ٢٥٩

[٣] سورة آل عمران آية [١٠٣] .

أنها تعتبر في المرتبة الثانية بعد الشرك وهي أكبر من كبائر الذنوب لأن صاحب الكبيرة كشارب الخمر والزاني والسارق ونحوهم يلُم بها تارة ويتوب إلى الله عزّ وجلّ إذا ذكر، ثم هو يعرف أنه ارتكب معصية، لكن صاحب البدعة إذا تمكنت من قلبه تجده يدافع ويذب عنها تديناً وينشرها جاداً ومجتهداً إذا ذب أهل السنة عن سنتهم وبينوا بطلان البدعة،فإنه يذب ويغضب ويهجر من أجل ذلك ويفعل الأفاعيل التي يستطيعها غيره.

وختاماً فإن حزب الله الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه هم الذين أخذوا بكتاب الله عزّ وجلّ بالفهم الصحيح والعناية التامة وبسنة النبي الكريم ﷺ بالفهم الصحيح والعناية التامة، ولايمكن ولا يتأتى لأحد الفهم الصحيح والعناية إلا إذا أخذ العلم عن أهله من علماء الشريعة أهل العناية بالقرآن وبتفسيره وبعقيدة السلف الصالحين وبسنة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، إذا سلك طلاب العلم هذا المسلك وأخذوا عن أشياخهم العلماء ولو رحلوا وبعدت الرحلة فيعتبر المجهود قليل وهين، فالرحلة في طلب العلم من دأب الصالحين ومن خلق العلماء السابقين ابتدأها أصحاب محمد ﷺ، إذ رحل بعض أفاضلهم من المدينة النبوية إلى أرض الشام وعلى بعير يقطع المسافات ويواصل الليل بالنهار من أجل أن يسمع حديثاً واحداً سمع بأن

أخاه في الشام يحفظ ذلك الحديث وبالفعل وصل واستأذن جابر بن عبدالله استأذن على أخيه عبدالله بن أنيس فقال له ياأخي سمعت بأنك تحفظ حديثاً في المظالم فخفت أن أموت قبل أن أسمعه أو تموت قبل أن أسمعه منك.

فسرد له الحديث ثم ركب راحلته ورجع[١]، هذه الرحلة قطع فيها شهراً كاملاً تقريباً ذهاباً ومثله إياباً من أجل أن يفهم حديثاً واحداً وما أشرفه وما أجله لأنه من سنة النبي ﷺ والرحلة فيها جهاد في سبيل الله وإحرازه وفهمه ونشره من الجهاد في سبيل الله بل هو أعظم من الجهاد في المعارك لأن العالم بنشره للعلم يتسبب في حياة القلوب وفي توجيه الجاهلين وفي إنقاذ الحيارى إلى غير ذلك من المصالح التي يحرزها طلاب العلم الصادقين في الطلب على

[١] ولفظه: عن جابر بن عبدالله قال: (بلغني حديث عن أصحاب رسول الله ﷺ فابتعت بعيراً، فشددت عليه رحلي، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبدالله بن أنيس الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابرا على الباب، فرجع إليَّ الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج إليَّ فاعتنقته واعتنقني. قال: قلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه أنا منه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يحشر الله تبارك وتعالى العباد أو قال الناس - شك همام - وأومأ بيديه إلى الشام عراة غرلاً بهما، قال: قلنا: مابهما؟ قال: ليس معهم شيئ، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ ومن قَرُبَ [أنا الملك أنا الديان، لا ينبغي لأحد أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطالبه بمظلمة حتى اللطمة] قال: قلنا: كيف، وإنما نأتي إلى الله عراة حفاة غرلاً؟ قال: بالحسنات والسيئات ". إسناده حسن والحديث صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب المعانقة ٣٧١ [٣٧٠] حسن. والإمام أحمد في مسنده ٣ / ٤٩٥.

المنهج الصحيح ومن الطريق الصحيح وعن أهل العلم الموثوق بعقيدتهم ومنهجهم وغزارة علمهم، هذا هو الطريق وفي هذا يقول النبي ﷺ (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)[١] فما أغلى السير في طلب العلم والرحلة فيه، سواءً كانت الرحلة قريبة، أو كانت الرحلة بعيدة.

وأنا أعتبر مجيئكم[٢] من أماكنكم ومن بلدانكم ومن بين أهليكم وترككم ما يتمتع به الناس الذين لم يقدروا العلم حق قدره تركتموهم وأتيتم لتطلبوا العلم من قول الله وقول رسوله ﷺ وتتعرفوا على منهج السلف الصالح وتتعرفوا على المناهج المخالفة له من أجل أن تحذروها.

وإنني لأغبطكم على ذلك وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلكم هداة مهتدين وعالمين عاملين بما جاء في كتاب ربنا وبما جاء في سنة نبينا ﷺ وبما حمله من العلم أسلافنا الصالحون العلماء الربانيون الذين لا تخلو الأرض منهم بحول الله وقوته وإن قلوا وكثر غيرهم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[١] سبق تخريجه ص [١٠] بنحوه.

[٢] كان هذا الكلام موجهاً إلى طلاب دورة الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي - رحمه الله - العلمية الأولى لعام ١٤١٥هـ حينما حضروا من أماكن بعيدة وأماكن جبلية ونائية وذلك في مدينة صامطة من منطقة جازان.

اعلم [١] - أرشدك الله [٢] لطاعته [٣] - أن الحنيفية ملة إبراهيم [٤]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: قول المؤلف رحمه الله

[١] (اعلم) هو فعل أمر يدل على تنبيه المخاطب ليستعد لفهم مايلي، هذا الفعل من التوجيهات السديدة والقواعد الطيبة المفيدة في باب عقيدة التوحيد ورفض مايضادها.

[٢] (أرشدك الله) وقد أتبع هذا الأمر بالدعوة المباركة وهي طلب الرشد من الله تبارك وتعالى لعباده، أي الرشد لطاعة الله عزّ وجلّ، وهذا من أدب التأليف، أن يأتي المؤلف بأداة التنبيه ليستعد السامع والقارئ لما يليها، وأتبع ذلك بالدعاء لكل سامع ولكل قارئ نصحاً ومحبة ورغبة في أن يَمُنَّ الله تبارك وتعالى على خلقه بالرشد والهداية.

[٣] (لطاعته) والطاعة هي موافقة المأمور أي موافقة ماأمر الله به في كتابه وما أمر به رسوله ﷺ في سنته، وذلك يتجلى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وإحلال الحلال وتحريم الحرام مع صحة الاعتقاد لحل الحلال وتحريم الحرام والتقرب بذلك إلى الله.

[٤] (أن الحنيفية ملة إبراهيم) وهنا دخل المصنف في الموضوع وفي بيت القصيد ليبين للمسلمين والمسلمات أن الملة الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه

أن تعبد الله مخلصاً له الدين[١]

السلام ، (أن الحنيفية) والمراد بالحنيفية هي المائلة عن الشرك المقبلة إلى التوحيد، وعلى العموم هو المائل عن الشر المقبل على الخير، وهو المائل عن المعصية والمقبل على الطاعة، وهذه هي سبيل السعادة وطريق النجاة.

ثم بين ملة إبراهيم أن أساسهاوأصلها هو :

[١] (أن تعبد الله مخلصاً له الدين) هذه هي ملة إبراهيم أبي الأنبياء وخليل الرحمن الذي بعثه الله تبارك وتعالى في أمة غارقة في حمأة الشرك والوثنية ليدعوهم ولينتشلهم من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الكتاب والسنة، فبين أن أصلها وأساسها أن تتوجه أيها المسلم إلى الله عزّ وجلّ بكل عبادة مالية أو بدنية أو هما معاً، أن تتوجه بذلك إلى الله وحده مستصحباً الإخلاص، إذ أن الإخلاص شرط من شروط قبول العمل ولا يُقبل عمل بدون إخلاص لأن الله سبحانه وتعالى لايقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً وكان صواباً.[١]

مخلصاً له الدين: لا لغيره، لاتدين لغيره بشيئ من العبادات لا من الأقوال

[١] كما قال الفضيل بن عياض " أحسن عملاً " أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لايقبل حتى يكون خالصاً صواباً، الخالص: إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة. ورواه أبو نعيم في الحلية ٨ / ٩٥ وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع الفتاوى ١ / ٣٣٣ وابن القيم في مدارج السالكين ١ / ٨٣ والبداية والنهاية ١٠ / ١٩٩ تفسير البغوي ٨ / ١٧٦ وجامع العلوم والحكم ١ / ٤٤ .

ولا من الأفعال ولامن الأعمال الظاهرة أو الباطنة بل كلها لله عزّ وجلّ خالصة ترجو بها رضا الله والجنة وترجو بها النجاة من أليم عذابه ومن مقته وسخطه.

وكم من نصوص قد جاءت في القرآن الكريم تدعوا الناس إلى الإخلاص في أعمالهم ؛ وكم من أحاديث ثبتت عن النبي ﷺ كذلك، فمن الآيات قول الله عزّ وجلّ ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[١] والأمر للنبي ﷺ أمر لجميع أمته إلا ما دل عليه دليل أنه خاص به فهذا يعرف في مواضعه وقال عزّ وجلّ ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾[٢] وهذا الأمر فاعبدوا ماشئتم من دونه أمر توبيخ لهم وتهديد لهم لأنهم سيلقون جزاءهم إذا قدموا على الله عزّ وجلّ وقد عبدوا غيره، فقد ثبت عن النبي ﷺ بأنه سيقول لهم " اذهبوا فاطلبوا أجركم ممن كنتم تراءون"[٣] ولا يملك أحد يوم القيامة شيئاً من الأجر، لا من جلب المصالح ولا من دفع المضار بل الكل يحكم الله عزّ وجلّ فيهم ويجازيهم بحسب أعمالهم خيرها وشرها كما قال الله تبارك وتعالى ﴿لمن الملك اليوم﴾ فأجاب نفسه سبحانه

[١] سورة الزمر آية [١١].

[٢] سورة الزمر آية [١٤].[٣] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٤٢٨، ٤٢٩ وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة ٢ / ٦٣٤ (٩٥١).

وتعالى ﴿لله الواحد القهار * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾[١].

وهكذا ثبت عن النبي ﷺ في الحديث القدسي قول الله سبحانه وتعالى: [أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه] وفي رواية [فهو للذي أشرك][٢] وحديث عمر المشهور المعروف الذي يوجد في مقدمة كل كتاب حديثي غالباً (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى)[٣] وهو دليل على الإخلاص وعلى تصحيح النية والصدق مع الله تبارك وتعالى في العمل.

وقد تنازعت طوائف الكفر في إبراهيم عليه السلام كلُ طائفةٍ تدعي بأن إبراهيم منهم فأكذبهم الله تبارك وتعالى وبيّن ملة إبراهيم على وجه الحقيقة وأنها ليست كما يدّعون فهو بريءٌ منهم قال الله عزّ وجلّ ﴿ما كان إبراهيم

[١] سورة غافر آية [١٦].

[٢] أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله ٤ / ٢٢٨٩ [٢٩٨٥].

وابن ماجه في كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ٢ / ١٤٠٥ [٤٢٠٢].

والإمام أحمد في مسنده ٣ / ٢١٥، ٤٦٦.

[٣] أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١ / ١٣ (١) ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ " إنما الأعمال بالنيات " ٣ / ١٥١٥ [١٩٠٧].

يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ [١] ادَّعت اليهود وادعت النصارى وادَّعى المشركون في إبراهيم فأكذبهم الله عزّ وجلّ جميعاً لأنهم كاذبون في الدعوى وأثبت أن إبراهيم عليه السلام مائلاً عن الشرك الذي ارتكست فيه جميع الطوائف المذكورة، اليهود، والنصارى، والمشركون، ومن والاهم،وأنه حنيف مسلم أي مستسلم لله وحده لم يشرك معه أحد ولم يخضع لأحد ولم ينقد لأحد وإنما انقاد لأمر الله رب العالمين.

إذن: فكل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة هم أولى بإبراهيم من تلك الطوائف لقول الله عز وجل ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾ لا كما تدعي اليهود ولا كما تدعي النصارى ولا كما يدعي المشركون ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ اتبعوا ملته عقيدة وعبادة ﴿وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ [٢].

ولعظم دعوة إبراهيم وجلالة قدر ملته فقد أمر نبينا ﷺ باتباعه وحياً من الله حيث قال الله عزّ وجلّ ﴿ثم أوحينا إليك أ ن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [٣].

---

[١] سورة آل عمران آية [٦٧].

[٢] سورة آل عمران آية [٦٨].

[٣] سورة النحل آية [١٢٣].

وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها [١]، كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [٢]

وهكذا أمر الله عزّ وجلّ أمة محمد ﷺ بالتأسي به ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [١] الآية.

وقد جاء النبي الكريم عليه الصلاة والسلام مجدداً لهذه الملة ومتبعاً لها وإن اختلفت بقية الشرائع.

[١] أي ليحققوا ويتبعوا ملة إبراهيم التي وصفت بأزكى الأوصاف والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ :-

[٢]﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [٢] والآية تبين الحكمة وتبين الغاية والهدف الأسمى من خلق الثقلين عالم الجن وعالم الإنس ألا وهي عبادة الله وحده دون سواه بكل ماتحمل كلمة العبادة من معنى .

ولما كانت العبادات أنواع متعددة، وأعظمها وأجلها وأعلاها توحيد الله تبارك وتعالى قال المؤلف :

[١] سورة الممتحنة آية [٤].

[٢] سورة الذاريات آية [٥٦].

وأعظم ما أمر الله به التوحيد[١]، وهو إفراد الله بالعبادة[٢]،

---

[١] (وأعظم ما أمر الله به التوحيد) ذلك لأن التوحيد أساس الدين وأصل الملة وهو مفتاح الجنة وهو أعظم سبب في نجاة أهله من الخلود في النار إن دخلوهابحسب معاصيهم وهو الذي يعصم به المال ويعصم به الدم ويعصم به العرض وهو الرابطة الكبرى بين جميع المسلمين على اختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم وتباعد أقاليمهم فهو رباط عظيم آخى بينهم وجعلهم كالجسد الواحد، كما قال النبي ﷺ (المسلم أخو المسلم)[١] الحديث، وفسر التوحيد بتعريف واضح.

[٢] (إفراد الله بالعبادة) أن تفرد الله عزّ وجلّ بكل عبادة يتوجه بها إليه أيْ بكل عبادة شرعية يتوجه بها العباد إلى الله عزّ وجلّ، فمن أفرد الله بالعبادة فهو الموحد ومن صرف العبادة لغيره فهو المشرك، ومن أشرك معه غيره في العبادة فهو المشرك أيضاً، فإن الله هو المستحق للعبادة وحده بدون شريك له فيها.

والتكاليف كما تعرفون أوامر ونواهي وسبق معنا بأن أعظم الأوامر توحيد الله عزّ وجلّ وهكذا أعظم النواهي وأكبر المآثم الإشراك بالله تبارك وتعالى،

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الإكراه باب إذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها ٤ / ٢٧٨(٦٩٥١) ومسلم في كتاب البر والصلة والآدب باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٦ [٢٥٨٠] عن عبدالله بن عمر ،وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور باب المعاريض في الأيمان ٩ / ٨٢ [٣٢٣٩] عن سويد بن حنظلة.

[١]
وأعظم مانهى عنه الشرك،

لذا قال المصنف رحمه الله:

[١] (وأعظم ما نهى عنه الشرك) وهو دعوة غيره معه، والشرك أعظم ذنب عصي الله به كما هو صريح القرآن وقد جاء النهي عنه في القرآن بأساليب متعددة، بأسلوب النهي الصريح كما في قول الله عزّ وجلّ ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾[١] وهكذا في قول الله عزّ وجلّ ﴿ ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾[٢] وهكذا في قول الله عزّ وجلّ إخباراً عن لقمان وهو يوصي ابنه بالأوامر والفضائل وينهاه عن المآثم والرذائل ﴿ يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾[٣]. وجاء بأسلوب الوعيد الشديد لمن أشرك بالله ومات على الشرك فقال سبحانه ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[٤] وقال سبحانه ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾[٥].

---

[١] سورة النساء آية [٣٦].

[٢] سورة الروم الآيتان [٣١، ٣٢].

[٣] سورة لقمان آية [١٣].

[٤] سورة النساء آية [١١٦].

[٥] سورة المائدة آية [٧٢].

وهو دعوة غيره معه [١]، والدليل قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً﴾ [٢]

وابتدأ النبي ﷺ في دعوته بالتأكيد على أمرين :-

الأمر الأول: تجريد التوحيد لله رب العالمين.

الأمر الثاني: النهي الشديد عن الإشراك بالله تبارك وتعالى.

وفي قول المصنف:

[١] (وهو دعوة غيره معه) يضاف إليها وهو دعوة غير الله أو دعوة غيره معه لأن المشرك إما أن يتوجه بجميع العبادات لغير الله كالأصنام والأوثان ونحوها من المعبودات الباطلة، وإما أن يجعلها لله ولغير الله كأن يدعوا الله تارة ويستغيث به ويدعوا المخلوق تارة أخرى ويستغيث به وكلا الصورتين شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام لا تمحوه إلا التوبة والعمل الصالح ومن الأدلة على ذلك التي جاءت تأمر بالتوحيد وتحذر من الشرك:

[٢] (قوله تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾) أمر بالعبادة ونهي عن الشرك إذ لا يتم التوحيد إلا بالبراءة من الشرك وهي قاعدة أوضحها القرآن في مواضع متعددة منها هذا الموضع، حيث أمر بتوحيده ولم يقتصر على الأمر بالتوحيد بل أردفه بالنهي عن الشرك فقد يكون العبد في بعض العبادات موحداً وقد يكون في بعضها مشركاً وقد يكون العبد في بعض الأحيان موحداً وفي بعض الأوقات مشركاً، فأمر الله عزّ وجلّ بتحقيق

التوحيد مطلقاً وبصفة دائمة وبالنهي عن الإشراك بالله عز وجل دائماً وبصفة مستمرة مدى حياة العمل.

ولهذا عاب الله عزّ وجلّ على المشركين الذين كانوا إذا نزلت بهم الخطوب وحل بهم الضيق أخلصوا في الدعاء لله عزّ وجلّ وإذا كانوا في أمن واستقرار ورخاء توجهوا بالعبادات إلى معبوداتهم الباطلة، ذمهم الله تبارك وتعالى وسجل هذا الذّم في القرآن حيث قال عزّ وجلّ عنهم ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ [١]

إذن من الخطر على الأمة الإسلامية أن يغفلوا عن ربهم في حال النعمة واليسر والرخاء والأمن والصحة إلى غير ذلك من أصناف النعم حتى إذا نزلت بهم الشدائد أقبلت قلوبهم وألسنتهم بالدعاء والاستغاثة وطلب كشف الضر، فإذا كشف الله عنهم الضر عادوا لما كانوا عليه من الغفلة والتثاقل عن أداء الفرائض والواجبات والاقتحام في المعاصي والسيئات، وهو أمر مهم يجب التنبيه عليه، إذ ما من أحد إلا ويبتلى بهذه الغفلة وإذا نزل به شيئ من الشدائد والكروب لجأ إلى الله تبارك وتعالى راغباً وراهباً.

ثم بعد ذلك ابتدأ المصنف في الشرح والتفصيل للأصول والأسس التي يجب على كل إنسان من ذكر وأنثى أن يعرفها وأن يطبقها علماً وعملاً

[١] سورة العنكبوت آية [٦٥].

فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه،[١]

ودعوة وصبراً فذكر أن الأصول ثلاثة معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ

[١] (معرفة العبد ربه) فأما الرب سبحانه وتعالى الذي له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى فهو المربي لجميع مخلوقاته في عالم الأرض وفي عالم السماء وما بين ذلك، الكل لايستغني عن الله طرفة عين،وتربية الله لمخلوقاته على قسمين :

١ـ تربية عامة.

٢ـ وتربية خاصة.

فأما التربية العامة فهي تشمل جميع المخلوقات من بر وفاجر ومؤمن وكافر وناطق وصامت كل المخلوقات مفتقرة إلى الله عزّ وجلّ وهو المربي لها بالإيجاد والرزق والأمن والاستقرار وجميع النعم الدينية والدنيوية إلا من أبى من نعمة الدين فقد ظلم نفسه وسيلقى جزاءه وأما التربية الخاصة فهي تربية خاصة لعباد الله المؤمنين وهي لا تكون إلا لهم لأنهم أتوا بأسبابها تربية خاصة بالنصر والتأييد والتوفيق والهداية والرعاية إلى أقوم طريق وهذا خاص بعباد الله المؤمنين، لأنهم أهل لذلك أتوا بسبب هذه التربية الخاصة من الاستجابة لله والاستجابة لرسول الله ﷺ امتثالاً لقول الحق عزّوجلّ ﴿ ياأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾[١]

---

[١] سورة الأنفال آية [٢٤].

ودينه [١]

فالمؤمنون استجابوا وأصغوا وأذعنوا لنداء الله وتوجيهه الكريم فأطاعوا ربهم وأطاعوا نبيهم محمداً ﷺ فأكرمهم الله بالتربية الخاصة والهداية الخاصة.
إذن فمعرفة الرب على الوجه اللائق بعظمته وجلاله أصل أصيل من أصول الدين يجب على كل إنسان أن يعرفها ويعبد الله على أساسها.

[١] (ودينه) ، وهذا هو الأصل الثاني " معرفة العبد لدين الإسلام " وما أحوج الأمة لمعرفة دين الإسلام فهو دينها وهو الصلة بينها وبين الله عزّ وجلّ وهو الذي أمر الله تبارك وتعالى الأمة أن تعتنقه وترضى به وأن تسلم لأوامره وأن تسلك طريقه التي تفضي بسالكها إلى رضى الله وجنات النعيم قال الله عزّ وجلّ ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [١] وهذا الحصر والقصر لتقتصر الأمة كلها بعد بعثة النبي ﷺ عربها وعجمها وقاصيها ودانيها تقتصر في عبادتها وصلتها بربها على دين الإسلام وحده دون سواه وأكد الله هذا المعنى بقوله ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [٢] ومن ادعى أنه يعبد الله على الملة اليهودية أو النصرانية أو أي ملة من الملل بدعوى حرية الأديان [٣] التي لم يفهموها فهماً

[١] سورة آل عمران آية [١٨] .

[٢] سورة آل عمران آية [٨٥] .

[٣] كما جاء ذلك عن مصطفى السباعي في كتاب د. مصطفى السباعي رجل فكرة وقائد دعوة " ص [٩٣]
=

صحيحاً فإنه كافر بدين الإسلام وأنه من أهل النار إن مات على ذلك بدليل هذه الآية الكريمة وبدليل عموم رسالة النبي محمد ﷺ التي أخبر الله عنها بقوله ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[١] وكلمة الناس لايخرج عنها أحد من بني آدم.

ومن هذه المشكاة جاء قول النبي ﷺ (والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار)[٢]. فليس هناك دين وليس ثمة طريق بعد بعثة النبي ﷺ توصل إلى الله وإلى رضاه وإلى دار كرامته إلا من طريق رسول الله

=- [٩٨] حيث قال " فليس الإسلام ديناً معادياً للنصرانية بل هو معترف بها مقدس لها، وأما توهم الانتقاص من المسيحيين وامتياز المسلمين فأين الامتياز؟ أفي حرية العقيدة والإسلام يحترم العقائد جميعاً، أم في الحقوق المدنية والتساوي في الواجبات، والإسلام لايفرق بين مسلم ومسيحي، ولايعطي للمسلم في الدولة أكثر من المسيحي، والدستور ينص على مساواة المواطنين جميعاً في الحقوق والواجبات.

ثم اقترح أربع مواد:

١- الإسلام دين الدولة الرسمي.

٢- الأديان السماوية محترمة ومقدسة.

٣- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية.

٤- لايحال بين مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة.

وعنه عثمان عبدالسلام نوح في كتابه " الطريق إلى الجماعة الأم، علم وعمل السلف " ص [١٣٤] والأجوبة السديدة للشادح ٥ / ٤٩.

[١] سورة الأعراف آية [١٥٨]. [٢] سبق تخريجه ص [٧].

ﷺ ، وطريق رسول الله ﷺ محصور في مصدرين كريمين : ـ

<u>المصدر الأول</u>: كتاب الله عزّ وجلّ الذي قال الله فيه ﴿ اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون ﴾ [١].

<u>المصدر الثاني</u>: سنة رسول الله ﷺ التي قال في حقها (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) [٢] وقد هيأ الله عزّ وجلّ أنصاراً لهذا الدين في كل زمان وفي كل مكان يقلون ويكثرون وإمامهم هو النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فهو أول من أسلم وأول من دعا إلى الإسلام، وتسبب في هداية أنصار الإسلام فكان طلبته المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم، وسحقاً وبعداً لمن أبغضهم [٣]

[١] سورة الأعراف آية [٣].

[٢] رواه أبو داود عن العرباض بن سارية في كتاب السنة باب في لزوم السنة ٤ / ٢٠٠ [٤٦٠٧]. والترمذي في كتاب العلم باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٥ / ٤٣ [٢٦٧٦] وقال حسن صحيح.

وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١ / ١٥ [٤٢]،[٤٣] وقال عنه الألباني صحيح في صحيح سنن ابن ماجه ١ / ١٣ [٤٢]،[٤٣].

والدارمي في المقدمة باب اتباع السنة ١ / ٥٧ [٩٥].

[٣] قال الإمام الطحاوي رحمه الله " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْرطُ في حب أحد منهم، ولانتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ".

انظر متن العقيدة الطحاوية ص [٤٦].

حيث جاهدوا بأنفسهم وأموالهم وألسنتهم لتكون كلمة الإسلام هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى ففتح الله على أيديهم مشارق الأرض ومغاربها حتى انتشر الإسلام وارتفعت رايته وكثر أتباعه من العرب والعجم بفضل الله عزّ وجلّ ثم بتلك الجهود المخلصة الطيبة التي نادت بالإسلام على علم وبصيرة ودعت إلى أصوله وفروعه وفضائله ومحاسنه بالقول والفعل والعمل وتبعهم على ذلك أنصار الإسلام، من مجاهدين فاتحين في القرون المفضلة ومن علماء ربانيين اهتموا واعتنوا بتدوين تعاليم دين الإسلام من تفسير كلام رب العالمين وتدوين سنة سيد الأنبياء والمرسلين والعمل على تنقية الصحيح من الضعيف والمقبول من المردود منها وهذا يعتبر من أعظم أنواع الجهاد لأنهم بينوا للناس معاني كتاب الله عزّ وجلّ وما أشرفه من عمل وماأجلها من قربات ولأنهم بينوا للناس ماصح عن رسول الله ﷺ ممالم يصح حتى لا ينسب إلى النبي ﷺ إلا ما كان حقاً وصدقاً بأنه قاله أو فعله أو أقر به أو أقر عليه، أليس هذا من الجهاد؟ ثم يأتي اليوم وقبل اليوم جماعات يلمزون من يهتم بشأن تفسير كلام الله عزّ وجلّ ليبين للأمة كلام ربهم وليبين للأمة صحيح سنة نبيهم ﷺ من ضعيفها، نعم يأتي جماعات يدعون بالحركيين ويذمون هذا الصنف من العلماء الربانيين أيجوز أن يذم من يعكف على العناية بكتاب الله تفسيراً

وتعليماً ودعوة ونشراً؟ أيجوز أن يلام من يهتم ببيان صحيح سنة النبي ﷺ من ضعيفها ومقبولها من مردودها؟

والجواب : هذا لايجوز أن يُذَمّ بل يجب أن يُدعى له بالتوفيق والسداد لأن عمله من أعظم الجهاد في سبيل الله وسبيل الله هو غير السبل التي وقفت عليها شياطين الإنس والجن تنادي بالدخول فيها ، بل هو تمييز الحق من الباطل والهدى من الضلال والغي من الرشد.

والطريق التي يرضاها الله لعباده لم يستطع أن يبينها من لم يكن له عناية بكتاب الله وسنة النبي ﷺ وفي المقدمة عقيدة التوحيد التي جلس النبي الكريم عليه الصلاة والسلام يدعو الأمة إلى تحقيقها ثلاث عشرة سنة وهذا معلوم من تاريخ النبوة الغالي.

فحذار أن يسمع لهؤلاء الذين يقولون في حق العلماء الربانيين بأنهم قوم لايعرفون إلا مكتباتهم ؛ ولايعرفون إلا العكوف على الكتب ذات الأوراق الصفراء وما شاكل ذلك من الألفاظ ؛ وهذا إثم كبير وذنب عظيم يجزون عليه إن لم يتوبوا إلى الله عزّ وجلّ ويستغفروه ويعودوا إلى رحاب الحق معترفين لأهله بالفضل بعد فضل الله جل وعلا.

وهكذا تتابع أنصار الإسلام بالدعوة إليه وشرح محاسنه وفضائله وبيانه

للناس في كل زمان وفي كل مكان وفي عصرنا هذا نحمد الله تبارك وتعالى على أن في العالم الإسلامي قوماً كُثُر يدعون إلى منهج السلف لا يسلكون مسالك الحركيين في دعوتهم ذات التظاهرات والمسيرات والاغتيالات والتنظيمات السرية[١]، إذ إن هذه الأساليب لاتخدم الإسلام ولاتدل على محاسنه وفضائله وإنما جعلت أعداءه يتهمونه بالقسوة وكذبوا بل إن شأنه

[١] قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله : " فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ماقد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شراً عظيماً على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة، والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة ويمنع انتشارها ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضاداتها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب لكن يحصل به ضده فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة أولى من عمل يضر الدعوة ويضايقها أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله ".

مجلة البحوث الإسلامية العدد [٣٨] ص [٢١٠].

وقال أيضا : " إن اندفاع الشباب لابد أن تسايره حكمة من الشيوخ ونظرة من تجاربهم وأفكارهم ولا يستغني أحد الطرفين عن الآخر، ولقد استمر الشباب المسلم في عطاء الخير المتجدد في الحروب الصليبية في الشام والأندلس وغيرها من المواقف التي يتصادم فيها الحق بالباطل حتى اليوم، فغاظت تلك الحماسة أعداء الإسلام، حيث سعوا إلى وضع العراقيل في طريقهم، أو تغيير اتجاههم، إما بفصلهم عن دينهم أو إيجاد هوة سحيقة بينهم وبين أولي العلم والرأي الصائب في أمتهم، أو بإلصاق الألقاب المنفرة منهم أو وصفهم بصفات ونعوت غير صحيحة، وتشويه سمعة من أنار الله بصائرهم في مجتمعاتهم."

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٢ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

كما قال الله فيه ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ﴾[١] فدعوته شريفة ومقصدها عظيم كما قال الله عزّ وجلّ ﴿ آلر* كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾[٢] أي إخراج وانتشال من ظلمات الجهل والضلال والشرك إلى نور الكتاب والسنة إلى نور الإيمان الحق ليس اغتيالاً وليس تظاهراً ولا مسيرات ولاتفجيرات ولا غير ذلك مما نقرأ ونسمع مما هو موجود على الساحة في كثير من البلدان ردهم الله إلى منهج الدعوة إلى الله رداً جميلاً وليس من مقصد الإسلام ودعوة الإسلام اغتيال الكفار،الاغتيال الذي لايحقق مصالح وإنما يترتب عليه شر ومفاسد وإن شئتم دليلاً على ذلك فدليل واحد يكفي وهو أن النبي ﷺ لما دعا في مكة متحملاً كل مايناله من أذى حتى وضعوا الأذى فوق ظهره وهو ساجد فآمن معه ما لا يقل عن سبعين رجلاً نذروا نفوسهم لله، لو أمرهم النبي ﷺ أن يقتحموا المهالك لاقتحموها .

فلو كانت الاغتيالات من وسائل الدعوة ومن غايات الدعوة لقال لهم يا معشر السبعين ليذهب كل واحد منكم فيغتال واحداً من كفار قريش، وما كان صناديد كفار قريش في ذاك الوقت يبلغون ذاك العدد والبقية أتباع لكن

[١] سورة الحج آية [٧٨].

[٢] سورة إبراهيم آية [١ ـ ٢].

قال لهم هاجروا إلى الحبشة حتى يأتي وعد الله عزّ وجلّ وسيجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً.

ودليل آخر أن النبي ﷺ اهتم من أذى قومه وحزن حزناً شديداً فذهب إلى الطائف قال (فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[١] فرفعت بصري إلى السماء فناداني جبريل فسلم علي وقال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقال لي يامحمد هذا ملك الجبال يسلم عليك فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ــ والأخشبان جبلان عظيمان محيطان بمكة ـ فقال النبي ﷺ "لا إني أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً[٢]) فلو قال له أطبق عليهم الأخشبين لأمسوا تحت الصخور وقرت عيون الموحدين ولكن لله حكمة والنبي ﷺ صاحب حكمة في دعوته لايريد القتل والاستئصال وإنما يريد أن ينتشلهم من جحيم الكفر إلى جنة الحق و الإيمان.

وما حصل من معارك إنما هي بأمر الله عزّ وجلّ، أمره الله أن ينشر دينه فمن

[١] قرن الثعالب : هو ميقات أهل نجد على يوم وليلة من مكة ويقال له قرن المنازل أيضاً. النهاية ٤ / ٥٤.

[٢] أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم "آمين" والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٢ / ٤٢٨ [٣٢٣١] ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٤ / ١٤٢٠ [١٧٩٥].

اعترضه وصار حجر عثرة في طريقه، وصار عقبة من العقبات ليحول بينه وبين انتشار دين الله فقد أمر النبي ﷺ أن يقاتله بجنود الله واشتركت ملائكة الرحمن مع أنصار الإسلام لأنهم لايقدمون ولا يؤخرون إلا بوحي من الله تبارك وتعالى امتثالاً لقول الله عزّ وجلّ ﴿ ياأيها الذين ءامنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ [١].

ولاتزال طائفة على الحق منصورة، ينهجون منهج السلف الصالحين في الدعوة إلى الإسلام وشرح محاسنه وبيان فضائله والإسلام معجزة من المعجزات إذا دُعي إليه وشرحت محاسنه وبينت فضائله على الوجه الصحيح أقبل الناس إلى الدخول فيه أفواجاً وأفواجاً، أرأيتم لو أن إنساناً يريد أن ينشئ شركة من الشركات لايفتحها بعمل صامت وإنما ينشر لها الدعايات وقد تكون دعايات غير صادقة وغير صحيحة في عمومها فيقبل الناس على تلك الشركة يقرأون عنها في وسائل الإعلام ويسمعون عنها فيقبل الناس لأخذ طلباتهم وقضاء حاجاتهم فيربح التاجر ربحاً وفيراً.

هكذا الإسلام إذا وجد من أنصاره من يشرح محاسنه ويبين يسره وسهولته وغاياته الحميدة ومآل أصحابه فإن الناس يرغبون في الخير بفطرتهم ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره

[١] سورة الحجرات آية [١].

ونبيه محمداً ﷺ [١]

ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾ [١].

[١] (ونبيه محمداً ﷺ) ، وأما نبينا محمد ﷺ فسأقرأ عليكم قطعة سبق أن كتبتها [٢] في التعريف بأولي العزم حتى وصلت إلى قولي :

[وأما من ختمت به الرسالات ـ أي محمد ﷺ ـ وأكمل الله لنا به الدين وأتم علينا به النعمة وأرسل إلى الثقلين عامة ولم يسع أحد الخروج على رسالته بعد بعثته أعني أشرف الخلق وإمام الدعاة الصالحين المصلحين ورسول رب العالمين سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله الصادق الأمين ، فضع عصا الترحال وتحدث عن شخصيته ودعوته إلى الله بما تشاء من صدق ونصح وإخلاص وحلم وصبر وحكمة وجد واجتهاد ورحمة ، لقد بعث النبي ﷺ والدنيا كلها ظلام فطلع فجر نبوته وشع نور رسالته ، وأشرقت الأرض بنور ربها وتحول ذلك الظلام إلى أنوار ساطعة تنير الطريق لمن أراد الطريق وتقيم الحجة على من تنكب الجادة وزاغ عن المحجة فقد بدأ ﷺ دعوته سراً حتى أنزل الله عليه ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ [٣] فأعلنها صريحة مدوية في بطحاء مكة قائلاً لأولئك المشركين إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد

---

[١] سورة الأنعام آية [١٢٥] .

[٢] في كتابه الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة ١ / ٥٠ .

[٣] سورة الحجر آية [٩٤] .

فردوا عليه أقبح رد وأنكروا عليه أيما إنكار وأخذوا يتربصون به ويترصدون له ويخططون ليل نهار للتخلص منه وإراحة الناس من دعوته كما زعموا.

وفي هذا يقول المولى الكريم ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾[١].

ورغم ذلك الكيد وتلك التجمعات والتهديد والوعيد فقد ظل ﷺ ثابتاً كالجبل الأشمّ بل أشد رسوخاً وثباتاً، وليس أدل على ذلك من قولته التي حفظها لنا التاريخ " والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه."[٢]

يالله ماأروع هذا الموقف وما أرفعه قدراً وأعظمه منهجاً لمن أراد أن يكون من أئمة الدعوة إلى الله طاعة لله عزّ شأنه ومتابعة لرسول الله ﷺ.

ولا غرابة أن يكون موقف النبي الكريم كذلك وأعظم من ذلك فهو بحق أشجع خلق الله وأتقاهم لله وأغيرهم على محارم الله فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته وعادلاً في رعيته، لقد مكث النبي ﷺ في مكة بعد البعثة

[١] سورة الأنفال آية [٣٠].

[٢] سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢ / ٣١٠ [٩٠٩]، وله طريق بلفظ " ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك. بسند صحيح انظر الصحيحة ١ / ١٩٤ [٩٢].

ثلاث عشرة سنة والقرآن الكريم ينزل عليه وهو يبلغ ما أنزل إليه من ربه صابراً على مايناله من أذى من هنا وهناك، ولقد كان يعرض نفسه عليه الصلاة والسلام على الوفود في مواسم الحج يدعوهم إلى الإسلام فيعرضون عن دعوته الخيرة ويلحقون به صنوفاً من الأذى.

ومرة ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى نصرته حتى يبلغ رسالة ربه فأوعزوا إلى صبيانهم وسفهائهم فوقفوا له على جنبتي الطريق يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وأعجزوه عن السير فلم يقل إلا خيراً، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه وفتح أبوابه فجاء بعد ذلك وفد المدينة وكانوا سبعين رجلاً قدموا عليه في الموسم فواعدوه عند العقبة وبايعوه على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ألا يخافوا في الله لومة لائم وعلى النصرة الحقة ولهم الجنة فقبلوا ذلك مغتبطين.

وأذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة إلى طيبة الطيبة فخرج مهاجراً إلى الله فلما وصل المدينة النبوية بنى مسجده وأسس مدرسته التي تخرج فيها المهاجرون والأنصار، الذين اتبعوه في ساعة العسرة والذين جاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله، فما ضعفوا وما استكانوا وكانت المعارك متوالية والحرب سجالاً

بين حزب الرحمن الذي يمثله محمد ﷺ والذين معه ، وبين حزب الشيطان الذي يمثله صناديد الكفر وجحافل الشر والفساد والطغيان، وسنة الله الجارية أن للباطل صولة ثم يقمع ويضمحل حيث يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وفي السنة الثامنة من الهجرة جاء الفتح الأعظم والنصر المبين ودخل الناس في دين الله أفواجاً وانتشرت دعوة الإسلام إلى الآفاق البعيدة ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾[١].اهـ.

وخلاصة الأمر:

أن أصول الدين كما ذكر المؤلف وغيره من العلماء الأجلاء ثلاثة :ـ

١ـ معرفة الرب .

٢ـ معرفة دين الإسلام .

٣ـ ومعرفة النبي الكريم ﷺ وبما جاء به .

وقد قال نبينا ﷺ مبشراً أمته (من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد

[١] سورة الأنعام آية [١٢٥].

ﷺ نبياً رسولاً وجبت له الجنة) [١]

وصلى الله وسلم وبارك على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١] أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات ٣ / ١٥٠١ [١٨٨٤].

والنسائي في كتاب الجهاد باب درجة الجهاد في سبيل الله ٣ / ١٤ [٤٣٣٩].

[١]
((فإذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه ،

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه سبق معنا في الدرس الماضي الحديث على الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها على سبيل الإجمال بل وبشيء من التفصيل المختصر وهنا سؤال وجهه المؤلف رحمه الله وأجاب عليه وهذه طريقة يسلكها بعض المؤلفين رحمهم الله أعني طريقة التأليف على طريقة السؤال والجواب من أجل الحفظ ومن أجل البيان والإيضاح لاسيما في مسائل العقيدة فوجه السؤال التالي وأجاب عليه فقال :

[١] (فإذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه) وقد مضى الكلام في الدرس الماضي على أن تربية الله عزّ وجلّ لخلقه على نوعين :

١ـ تربية عامة. ٢ـ تربية خاصة.

والفرق بينهما أن التربية العامة تتناول وتشمل جميع المخلوقات في الأرض وفي السماء وما بينهما فتشمل البر والفاجر والمؤمن والكافر والمكلف وغير المكلف إلى غير ذلك من مخلوقات الله ما عرفنا منها وما لم نعرف.

ونعم الله عز وجل على العباد كثيرة ، ونعم الدين ونعم الدنيا وأجلها نعمة دين الإسلام الذي امتن الله تبارك وتعالى به على الأمة في آيات متعددة منها

قول الله عز وجل ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[١] وتتجلى نعمة الإسلام في تكاليفه في الأوامر وفي النواهي وما فيها من السهولة واليسر وما فيها من رفع الأغلال والآصار عن هذه الأمة وقد كانت على أمم مضت ، وبين الله هذه السهولة بقوله عز وجل ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾[٢].

أي ما من حرج ينزل بالعبد في الأوامر إلا وجعل الله سبحانه وتعالى في هذا القرآن وفي هذا الشرع المطهر فرجاً من تلك المشقة ، وهذا ظاهر وجلي في التكاليف فمثلاً الصلاة التي هي أعظم العبادات بعد الشهادتين ، القيام فيها ركن من أركانها ، والسجود على الأعضاء السبعة كذلك لكن إذا جاءت المشقة وحالت بينك وبين القيام فإنك تصلي على أية حال وصلاتك صحيحة كما في الحديث الثابت عن النبي ﷺ أنه قال : « صل قائماً فإن لم تستطع فجالساً فإن لم تستطع فعلى جنب »[٣] فانتفى الحرج ، وهكذا في

(١) سورة المائدة آية [٣] . (٢) سورة الحج آية (٧٨) .

(٣) أخرجه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : " كانت بي بواسير ، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال : صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب " . وفي كتاب تقصير الصلاة باب إذا لم يطق الصلاة قاعدا صلى على جنب ١ / ٣٤٨ [١١١٧] والإمام أحمد في مسنده [٤ / ٤٢٦] وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة باب ما جاء أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ٢ / ٢٠٨ [٣٧٢] . وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم بنحوه ١ / ٣٨٨ [١٢٣١] .

الحلف في الأيمان جاءت الكفارات ، وفي الظهار جاءت الكفارة ، وفي القتل الخطأ جاءت الكفارة ، وفي السفر الذي هو مظنة المشقة جاءت رخصة القصر ورخصة الفطر . إذن ما من حرج يمكن أن يلحق الإنسان في عبادته إلا وجعل الله منه فرجاً ومخرجاً لينتفي ذلك الحرج وليتحقق قول الله عز وجل ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾[١] .

إذن : فنعمة دين الإسلام تتجلى في التيسير والتسهيل في أوامره وفي الراحة في اجتناب نواهيه ومحارمه لأن النفس تزكو بذلك ، إذا اجتنبت المحارم وسلمت من الوقوع في المآثم زكت النفوس ، واستنارت القلوب ونشطت الجوارح وأضاءت الوجوه ، والعكس بالعكس متى تلطخ الإنسان بالمآثم واقترف السيئات على اختلاف أنواعها وضاع مع أهل البدع تغيرت الوجوه ومرضت القلوب ودنست النفوس لأن المعصية ظلمة في القلوب وفي الصدور وفي الوجوه ووهن في الأبدان ، والطاعة نور وحياة ونشاط ظاهراً وباطناً ، فلا غرابة أن يكون دين الإسلام أعظم نعمة وأكبر منة أكرم الله بها أمة محمد ﷺ وأما نعم الدنيا فلا تدخل تحت العد ولا تدخل تحت الحصر .

نعمة الخلق والإيجاد ، ونعمة هذا التكوين للإنسان البشري الذي ذكَّره الله

(١) سورة الحج آية [٧٨] .

وهو معبودي ليس لي معبود سواه [١]

تبارك وتعالى به في قوله عز وجل ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم [١] ﴾ وفي قوله تبارك وتعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً [٢] ﴾ وهكذا التكريم بصيانة أعراضهم وحماية أموالهم وصيانة دماءهم ، كل ذلك رعاية من الله تبارك وتعالى أنعم بها على أمة الإسلام .

وهكذا تسهيل الأرزاق والأمن والاستقرار والمعيشة الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من النعم التي قال الله عز وجل في شأنها ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها [٣] ﴾ ، والنعمة من الله وحده ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله [٤] ﴾ وما كان من نعمة للبشر على البشر فهي نعمة داخلة في وسعه وفي مقدوره ولكن الله سبحانه وتعالى أعان عليها وجعل البشر سبباً في حصولها ، أما المنعم الحق لقضاء الحاجة وتفريج الكربة وتسهيل الأمر فهو الله سبحانه وتعالى كما نصّ عليه في قوله ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله [٤] ﴾

[١] ثم قال المؤلف : (وهو معبودي ليس لي معبود سواه) .

أي وهذا هو الحق وتلك هي العقيدة الصحيحة أن تعبد الله ولا تعبد أحداً

(١) سورة التين آية [٤] .

(٢) سورة الإسراء آية [٧٠] .

(٣) سورة النحل آية [١٨] .

(٤) سورة النحل آية [٥٣] .

والدليل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم.[١]

سواه ، والعبارة هذه مأخوذة من قولك « لا إله إلا الله » .

« فهو معبودي » فيه إثبات العبادة لله « ليس لي معبود سواه » فيه نفي العبادة لغير الله كما أن « لا إله » تنفي جميع ما يعبد من دون الله و « إلا الله » تثبت العبادة لله وحده دون سواه .

وحيث إن الأحكام تثبت بأدلتها والأدلة الشرعية تكون فيها القناعة لأهل الإيمان والإسلام الذين ءامنوا بالأدلة الشرعية من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ

[١] استدل المؤلف على تربية الله عز وجل لخلقه وعلى أنه هو المعبود بحق وغيره لا يستحق من العبادة شيئاً استدل على ذلك بقول الله عز وجل ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

(فأل) في الحمد للاستغراق والمعنى أن جميع المحامد المطلقة هي لله وحده لأنه هو المنعم وهو المتفضل على خلقه فيستحق أن يحمد حمداً مطلقاً ومعنى الحمد : الثناء على الله تبارك وتعالى بما هو له أهل . ثناء يليق بعظمة الله وجلاله وفي قوله عز وجل ﴿ لله ﴾ دليل على توحيد الألوهية المدلول عليه بلفظ الجلالة لأن لفظ الجلالة « الله » معناه المألوه ، أي المعبود والـ « رب » صفة لله عز وجل .

و « العالمين » جمع عالم لا مفرد له من لفظه ، وهو كل ما سوى الله من

مخلوقاته على اختلاف أنواع المخلوقات ، وهو يجمع على عوالم والعوالم أصناف متعددة ، عالم الإنس وعالم الجن وعالم الشياطين وعالم الملائكة وعالم الطير وعالم الوحش إلى غير ذلك من العوالم التي أنعم الله سبحانه وتعالى عليها بالخلق والإيجاد وفضل بعضها على بعض وجعل كل عالم على ما اقتضته حكمته فيه .

فعالم الملائكة مثلاً عالم طاهر جبل على الطاعة فلا سبيل لهم إلى المعصية أبداً ، لأن الله زكاهم بقوله ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾[١] .

وعالم الشياطين عالم جبلوا على فعل المعصية فلا سبيل لهم إلى فعل الطاعة أبداًحكمة من الله وعدلاً لا يسأل عما يفعل .

وعالم الإنس وعالم الجن عالمان كلفهما الله تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وأقام الحجة على هذين العالمين بإنزال الكتب وإرسال الرسل وجعل في كل فرد من أفرادهم قدرة واختياراً لفعل الطاعة تقرباً إلى الله ، وترك المعصية امتثالاً لنهي الله عز وجل ، فالمطيع يطيع بفضل الله ورحمته ثم بفعله وكسبه واختياره ، والعاصي يعصى بعدل الله وحكمته ثم بفعله وهومسؤول عن ذلك ومحاسب على ذلك .

(١) سورة التحريم آية [٦] .

فإذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل : بآياته ومخلوقاته [١]

[١] والسؤال الثاني « بم عرفت ربك »

أرشد المؤلف بأن من الأشياء التي تكون علامات على معرفة الرب تبارك وتعالى الآيات والمخلوقات .

« فإذا قيل لك بم عرفت ربك فقل بآياته ومخلوقاته » والآيات إذا أطلقت تشمل الآيات الثلاث .

الآيات الكونية : والمراد بها هذا الكون بسمائه وأرضه وما فيها .

وتشمل الآيات البرهانية : وهي المعجزات التي جرت على أيدي الرسل والأنبياء كالمعجزات التي جرت على يد موسى التسع الآيات البينات منها فلق البحر ومنها العصى ومنها الدم والضفادع والقمل والجراد التي قصها الله عز وجل في سورة الأعراف كلها معجزات . وإحياء الموتى بإذن الله آيات معجزات ، وما جرى لنبينا محمد ﷺ من المعجزات المتعددات كانشقاق القمر وتسبيح الحصى بين يديه ونبع الماء وانقياد الشجرتين له وسلام الحجر عليه وغير ذلك مما ثبت للنبي ﷺ من المعجزات .

والنوع الثالث الآيات القرآنية : وهي ما أنزله الله تبارك وتعالى على رسله من كلامه ومن ذلك التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف إبراهيم وموسى ، وغير ذلك مما استأثر الله بعلمه ، هذه كلها تدخل تحت كلمة آياته

ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما .[١]

أي فقل بآياته الكونية إذ المشاهد للكون يستدل بهذا الخلق العظيم ، إذ لا يمكن أن يوجد هذا الكون صدفة ولا يمكن أن يوجده أحد من المخلوقات ، ولا يمكن أن يوجد بعضه بعضاً ، كل ذلك مستحيل ، إذن فيبقى أن وجود هذا الكون الذي يشاهد والذي هو من الآيات العظام دليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى ، أن الخالق له هو الله وحده .

وهكذا جميع المخلوقات على اختلاف أشكالها وأصنافها كلها دليل على وجود الخالق وعلى قدرته ومن ثمّ على استحقاقه للعبادة وحده دون سواه .

[١] «الليل والنهار والشمس والقمر » هذه أبرز المخلوقات التي نشاهدها في كل لحظة من اللحظات ثم ذكر من الآيات الكونية الليل يقبل بظلامه ثم ينجلي ويأتي النهار بضيائه وهكذا يعقبه الليل وفيهما من العبرة وفيهما من الدلالة على قدرة الله عز وجل الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، لكن لتكرار الجديدين الليل والنهار يغفل الإنسان عن الاعتبار بهما وعن عظيم صنع الله سبحانه وتعالى وتسهيله لهما ، ومن أعظم المنافع والفوائد الدينية في الليل والنهار ما يوفق له العباد من فعل الطاعات فرائض وواجبات ومستحبات وسائر القربات واجتناب المنهيات وهذا المعنى أشار الله إليه بقوله ﴿ هو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد

شكوراً ﴾[١] يعني يخلف هذا هذا ، وليس لهما منتهى حتى يأتي اليوم المعلوم والوقت المعلوم الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار .

وهكذا الشمس والقمر وما فيهما من المنافع والمصالح ، فالشمس تضيء الكون بطلوعها وفيها من المنافع للأبدان وللأشجار وللدواب وللأرض على العموم ما هو ملموس يعرف ذلك من تأمل بحيث لو بقي الليل ممتداً بدون نهار لحصل فساد في الأرض وفي الأجسام وفي الأرزاق وفي المزارع وغير ذلك .

ولو بقي النهار سرمداً بدون ليل لحصلت المشقة وتغيرت الأمور عن مجاريها ولهذا ذكّر الله أمة القرآن بهذه النعمة ، يعني تصريف الليل والنهار وتعاقبهما كما هو مشاهد ومعلوم حيث قال سبحانه ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾[٢] .

إنه تذكير وتبصير للأمة بنعم الله الغزار التي لا يستطيع أحد من مخلوقات الله أن يقدم فيها أو يؤخر .

---

(١) سورة الفرقان آية [٦٢] .

(٢) سورة القصص الآيتان [٧١ ، ٧٢] .

﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾[١].

وهكذا القمر ومافيه من المصالح والمنافع إضاءة لأن الإضاءات الصناعية كثيراً ما يطرأ عليها العطب ولا يمكن أن يتمتع بها جميع الخلائق فالناس لهم أحوال هذا يسافر في الفلوات وهذا لا يجد سراجاً صناعياً ينير له في ظلمات الليل فخلق الله عز وجل القمر وجعله مضيئاً في السماوات ولأهل الأرض .

وامتن الله عز وجل بإضاءته حيث قال ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾[١] فهما من الآيات العظام التي لو تأملها العقلاء من الناس لاستدلوا بها على قدرة الله وبديع صنعه ومن ثم على استحقاقه لأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر .

وذكر من المخلوقات العظام الدالة على قدرة الله والمستحق للعبادة وحده دون سواه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما من المخلوقات العظام كالسحاب والأمطار وما في السماوات من الملائكة الكرام والأنبياء العظام وأرواح المؤمنين وما فيها من الأوامر والدليل على ذلك :

[١] قول الله عز وجل ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾[٢] لما ذكر بأن هذه المخلوقات وإن كانت عظاماً في خلقها إلا أنها لا

(١) سورة نوح آية [١٦] .

(٢) سورة فصلت آية [٣٧].

﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾.[١]

تستحق من العبادة شيئاً ، مهماعظمت المخلوقات وكثر نفعها فإنها لا تستحق أن يصرف لها شيء من العبادات ولا أن يضاف إليها شيء من النعم وإنما تجب العبادة للذي خلق هذه المخلوقات وصرفها إلى غيره وضع للشيء في غير موضعه إشراك بالله الذي هو أعظم الذنوب على الإطلاق .

ولما كان معظم الخلائق يعبدون معبودات مختلفة ومن جملة المعبودات التي تعبد الشمس والقمر يعني أن قوماً يعبدون الكواكب ومن جملة ذلك القمر ومن جملة ذلك الشمس فنهى الله عز وجل عن صرف المعبودات إلى هذه المخلوقات وغيرها من باب أولى . وأمر أن يعبد لأنه هو الخالق لهن وهو المنشيء لهن من العدم والذي يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويدبر الأمور هو الذي يستحق أن يعبد وغيره لا يستحق من العبادة شيئاً ، فمن كان مؤمناً حقاً فعليه أن يفرد ربه بالعبادة ولا يفرده بالعبادة إلا المؤمنون .

[١] وأتبع المصنف هذا الدليل بأدلة أخرى كقول الله عز وجل ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ ففي هذه الآية عدد كثير من الفوائد منها :

١ـ أن الرب الذي يستحق أن يعبد هو الذي خلق السماوات وخلق الأرض

في ستة أيام ، وهذه الستة الأيام بيّنها الله عز وجل في سورة فصلت حيث قال سبحانه ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾[١] .

فأوضح الله تفصيل هذه الأيام الستة وأن أربعة أيام منها لخلق الأرض خلقها في يومين بدون دحو ثم خلق بعد هذين اليومين السماوت وقدر في كل سماء أمرها ثم دحا الأرض بعد ذلك في يومين فصارت جملة الأيام ما ذكره الله هنا في ستة أيام ثم استوى على العرش ، فخلق الأرض بدون دحو متقدم على خلق السماوات ويليه خلق السماوات خلقاً كاملاً ويلي ذلك دحو الأرض في يومين والمراد بدحو الأرض كما قال الله عز وجل ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾[٢] .

---

(١) سورة فصلت الآيات من [٩ ـ ١٢] .

(٢) سورة النازعات الآيات من [٣٠ ـ ٣٣] .

٢ ـ والفائدة الثانية الحكمة في خلق السماوات والأرض في ستة أيام مع أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، قال علماء التفسير : (ليعلم عباده الأناءة والتدرج في الأمور)[١].وليس بالله عز وجل عجز حتى يحتاج إلى مدة طويلة كهذه بل له الكمال المطلق والقدرة التامة ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾[٢].

٣ ـ والفائدة الثالثة الإيمان بالاستواء على العرش وإثبات هذه الصفة على طريقة أهل السنة والجماعة ، خلق الله العرش فهو من جملة مخلوقاته بل هو سقف مخلوقاته ، واستوى عليه استواءً يليق بعظمته وجلاله لا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولاتحريف ولا تأويل بل على حد قول الله عز وجل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[٣] وهي من الصفات التي عطلتها المعطلة الجهمية ونفتها المعتزلة وأولتها الأشاعرة والكلابية[٤] والماتريدية[٥] ومن والى

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ٢ / ٢١٩ .

(٢) سورة يس آية [٨٢] .

(٣) سورة الشورى آية [١١] .

(٤) الكلابية : هم أصحاب عبد الله بن كلاب ، توفي [٢٤٠] ، انفرد هو وفرقته بأن قالوا : ليس لله كلام مسموع وأن جبريل ليس يسمع من الله شيئاً مما أداه إلى رسله عليهم السلام وإنما هو إلهام ألهمه ذلك من غير كلام . انظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١ / ٢٧٩ باختصار .

(٥) الماتريديه : نسبة إلى محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي السمرقندي . وقد توفي سنة ٣٣٣ هـ . وهم طائفة وافقت الأشاعرة في أمور وخالفتها في أخرى . معدودة من فقهاء الحنفية وما كان له =

هؤلاء من أهل التأويل المظلم .

٤ ـ والفائدة الرابعة : أن هذه المخلوقات العظام مسخرات بأمر الله ﴿ تجري بأمره ﴾[١] ، جعل الله لهاحدوداً وجعل لها مقادير وجعل لها أفلاكاً تسير فيها وفق أمر الله الذي قدره وقضاه ولذا قال الله عز وجل ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾[٢] ،وهكذا النجوم والكواكب السيارة والنجوم الثابتة طلوعها وغروبها وأمكنتها تجري بأمر الله وبتصريف الله عز وجل لها حتى ينتهي أمرها بذهاب هذه الحياة.

٥ ـ الفائدة الخامسة : أن الأمر لله تبارك وتعالى والخلق له ، له الأمر يأمر بما يشاء ،وأعظم ما أمر به طاعته وأشرف الطاعات وأساسها توحيده وله الأمر المطلق يأمر بما يشاء وينهى عما يشاء كل ذلك رحمة بالعباد وتزكية لهم وتطهيراً لنفوسهم وقلوبهم وابتلاء واختباراً كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾[٣] أي أخلصه وأصوبه ، ﴿ الذي خلق الموت

= أتباع في أول أمره وإنما أحيا مذهبه بعض أتباعه بعد مدة طويلة من وفاته حتى انتشر مذهبه . انظر كتاب الماتريدية دراسة وتقويما بتصرف من ص ٩٣ إلى ص ١٠٤ .

[١] سورة الأنبياء آية [٨١]

[٢] سورة يس آية [٤٠].

[٣] انظر ص ٧٣.

﴿ تبارك الله رب العالمين ﴾ [١] وهو المعبود والدليل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء ﴾ [٢]

والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [١]، ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ [٢].

إذن فالله هو الذي انفرد بالخلق فخلق مخلوقاته بدون معين ولا ظهير، ورزق جميع مخلوقاته بدون معين ولا ظهير وله الأمر كله يأمر بما يشاء ويحكم بما يريد لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

[١] وفي ختام هذه الآية الكريمة أثنى الله على نفسه ونزه نفسه بقوله ﴿ تبارك الله رب العالمين ﴾ أي تنزه وتعاظم وكثر خيره وبركته لأنه رب العالمين الخالق للعالمين والمالك للعالمين والمتصرف التصرف المطلق في عالم السماء وفي عالم الأرض وفي جميع مخلوقاته سبحانه بما يشاء وبما يريد.

[٢] وتابع المؤلف الأدلة على أن مخلوقات الله عز وجل دالة على وجوده كما أنها دالة على استحقاقه لأن يعبد الله وحده فقال: ﴿ ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [٣] فالنداء هنا لجميع الناس ﴿ يا أيها الناس ﴾ وهو من الأدلة على شمول وعموم رسالة نبينا محمد ﷺ فيدخل في كلمة الناس كل من كان من هذا النوع من

(١) سورة تبارك آية [٢].

(٢) سورة الأنبياء آية [٣٥].

(٣) سورة البقرة آية [٢١].

الأناسي عرباً وعجماً وذكوراً وإناثاً كلهم مخاطبون بهذا الخطاب العام الشامل ليتوجهوا بجميع عبادتهم إلى الله وحده لا شريك له .

ولما أمرهم بالعبادة ذكر علة وجوبها وعلة هذا التكليف فقال ﴿ الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾ أي وخلق الذين من قبلكم فما أنتم إلا أمة من أمم قد خلت كما ثبت في السنن أن النبي ﷺ قال : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » [١] .

ففي قوله ﴿ الذي خلقكم ﴾ بعد الأمر بعبادته وحده إيضاح وبيان أن الذي خلق ورزق هو الذي يستحق أن يعبد وحده وأن الذي لم يخلق شيئاً ولم يرزق وليس بيده حياة ولا موت لا يستحق أن يصرف له شيء من العبادة أبداً كما فعل المشركون على اختلاف أنواعهم ، فاليهود عبدوا ثلاثة والنصارى كذلك والمشركون معبوداتهم لا تدخل تحت العد والحصر من الأشجار

[١] رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٢ ، ٥ ، وورواه الحاكم بلفظ آخر في أبواب تفسير القرآن « سورة آل عمران » عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ قال (إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله) هذا حديث حسن ٥ / ٢١١ [٣٠٠١] وابن ماجه بنحوه في كتاب الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ ٢ / ١٤٣٣ [٤٢٨٧] [٤٢٨٨] . والدارمي في كتاب الرقائق باب في قوله ﷺ أنتم آخر الأمم ٢ / ٤٠٤ [٢٧٦٠] . رواه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة باب ذكر فضائل هذه الأمة على سائر الأمم ٤ / ٩٤ [٢٥٨٥] وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وحديث رقم [٢٥٨٦] و رواه البيهقي في كتاب السير باب مبتدأ الخلق ٩ / ٩ [١٧٧١٧] .

والأحجار والأخشاب المنحوتة والشمس والقمر والكواكب والمخلوقات التي لا تدخل تحت الحصر وقد ذمهم الله عز وجل بقوله ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى ﴾[١].

لأنهم قالوا إن الله عز وجل له البنات ، والبنات عند العرب مذمومات ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾[٢] يريد ذكراً يحمي الذمار ويحمل السلاح ويهزم الأعداء وأما المرأة فهي عار وشنار عندهم ، وأفضى بهم الأمر أنهم يقتلونها ﴿ وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾[٣] .

فذكرهم الله تبارك وتعالى في ذلك وذمهم في ما نسبوا إليه من البنات وذكر الخبر في قوله عز وجل ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾[٤] ووبخهم الله بقوله ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾[٥] وذمهم بقوله ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾[٦] والجنة الملائكة والنسب هو قولهم أن

(١) سورة النجم آية [١٩ ـ ٢٢] .

(٢) سورة النحل آية [٥٨] .

(٣) سورة التكوير آية [٨ ـ ٩] .

(٤) سورة الزخرف آية [١٩] .

(٥) سورة الطور آية [٣٩] .

(٦) سورة الصافات آية [١٥٨] .

﴿ فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾[١]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.[٢]

الملائكة بنات الله ،والله عز وجل يتنزه عن الصاحبة والولد فهو الذي خلق وهو الذي رزق جميع مخلوقاته في عالم الأرض وفي عالم السماء.

ثم ذكر العلة بقوله ﴿ لعلكم تتقون ﴾ الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ولذلك أمركم بعبادته.

وذكّركم بنعمه لكي تتقوا الله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والقيام بطاعته مادمتم في حياة العمل.

وذكّرهم الله عز وجل بشيء يعرفونه وهو « الأرض » وما فيها من المنافع المتنوعة وبسطها لهم من أجل أن ينتشر الناس عليها ويقضوا حاجاتهم بيسر وسهولة . ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ هو سبب الرزق كما في قول الله عزوجل ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾[١] .

[١] ﴿ فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ .

لا تجعلوا لله نظراء يعبدون كما يعبد ويشكرون كما يشكر ، لأن هذا هو الكفر بعينه وهذا هو الشرك الأكبر أن تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون أن الله هو الذي انفرد بالخلق والرزق والتدبير وما سواه عاجز فقير .

[٢] وقال ابن كثير : « الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة »،وهذه الجملة المختصرة لها معناها الكبير إذ أنها كخلاصة لما تقدم تفصيله أن من

---

(١) سورة الذاريات آية [٢٢] .

خلق هذه الأشياء التي تم إيرادها وتدوينها هنا هو الذي يستحق للعبادة وحده دون سواه . والله أعلم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

وأنواع العبادة [١] التي أمر الله بها ، مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان [٢] .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

[١] قال المصنف رحمه الله : (وأنواع العبادة) العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة . فيدخل في هذا التعريف كل عبادة يتعبد بها المكلفون من العبادات التي يجب أن تصرف لله وحده، وذكر المؤلف مثالاً ونموذجاً من أنواع العبادات فقال :

[٢] (مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان)

والإسلام والإيمان والإحسان هي مراتب الدين كما في حديث جبريل المشهور ، حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال فيه : (كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال صدقت . قال الراوي فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال : فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت . قال: فأخبرني عن

الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال : أخبرني عن أماراتها .قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم ـ في النهاية ـ انصرف فقال النبي ﷺ أتدري يا عمر من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).[١]

فاعتبر النبي ﷺ هذه المراتب الثلاث : الإسلام والإيمان والإحسان كلها مراتب الدين بحيث تشمل الدين كله .

وعند تفاصيل هذه المراتب لا بد من البيان : بيان أركان الإسلام وبيان أركان الإيمان وبيان أركان الإحسان ، وهذه قد كتبت فيها كتابة مختصرة واضحة على طريقة السؤال والجواب . ضمن بحوث سلسلة الأجوبة السديدة وهو السؤال الثاني : ما هي العبادة ومن المكلف بأدائها ؟

جـ : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة .

---

(١) رواه مسلم ١ / ٣٦ [٨] كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. ورواه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام ٥ / ٨ [٢٦١٠] . ورواه ابن ماجه في المقدمة باب الإيمان ١ / ٢٤ [٦٣] والإمام أحمد في مسنده في المقدمة باب الإيمان ١ / ٧و٢٨ و٥٢ و٥٣ .

والمكلف بأدائها على سبيل الوجوب أو الاستحباب بحسب الأمر الإلهي هو المكلف العاقل من عالم الإنس والجن كما قال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [١] .

ويليه السؤال الثالث ونصه :

ما هو التوحيد وكم أنواعه وما جزاء من حققه في الدنيا والآخرة؟

جـ : التوحيد هوإفراد الله بالعبادة والخلوص له من الشرك كبيره وصغيره قليله وكثيره والبراءة منه ومن أهله كما قال سبحانه ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [٢] . وقال سبحانه ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ [٣] .

وأما أنواع التوحيد فثلاثة :

الأول : توحيد الألوهية .

الثاني : توحيد الربوبية .

---

(١) سورة البينة آية [٥] .

(٢) سورة الأنعام الآيتان [١٦٢ ، ١٦٣] .

(٣) سورة مريم آية [٦٥] .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

فتوحيد الألوهية : هو إفراد الله بجميع أنواع العبادات ـ طبعاً ـ والتي ذكر الشارح نموذجاً منها .[١]

وتوحيد الربوبية : هو الإقرار بأن الله هو الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور والمتصرف في الكون كله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وتوحيد الأسماء والصفات : هو الاعتقاد الجازم بأن لله الأسماء الحسنى والصفات العليا وإثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل بل نقول كما قال الله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[٢] .

وأما الجزاء على التوحيد في الدنيا فهو عصمة الدم والمال والعرض وحياة الأمن والطمأنينة وأما جزاء الموحدين في الآخرة فرضا الله والجنة والنجاة من سخطه والنار ، وفوق ذلك التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم وذلك هو الفوز العظيم .[٣]

ونحن بصدد ما ذكره المؤلف رحمه الله من مراتب الدين حيث ذكر المرتبة

---

(١) كالدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والذبح ، والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها .

(٢) سورة الشورى آية [١١] .

(٣) الأجوبة السديدة للشارح ١ / ٧ ـ ٩ .

الأولى الإسلام . وفي حديث جبريل بين النبي ﷺ أركان الإسلام وطالب العلم بحاجة إلى معرفة مفصلة لأركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان بالأدلة التي توضح كل ركن، وهنا السؤال يأتي عن أركان الإسلام ومعنى كل ركن منها وذكر شيء من ثمراتها؟ والجواب: كما جاء في الحديث عن أركان الإسلام وأنها خمسة، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً .

فأما معنى شهادة أن لا إله إلا الله فهو نفي جميع ما يعبد من دون الله وإثبات العبادة كلها لله وهذان المعنيان هما ركنا لا إله إلا الله النفي والإثبات.

وقد سبق معنا[١] أن لا إله إلا لله لها ركنان: النفي والاثبات .

النفي يؤخذ من قولك (لا إله)، والإثبات يؤخذ من قولك (إلا الله) .

وأما معنى شهادة أن محمداً رسول الله فهو طاعته فيما أمر وتصديقه في الأمور كلها وتنحصر في متابعة النبي الكريم ﷺ التي أمرنا الله بها في قوله ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾[٢] كما أمرنا سبحانه بمتابعته في كل شأن من الشؤون ورتب على ذلك

(١) في ص ٢٧.

(٢) سورة التغابن آية [١٢] .

الهداية والفلاح فقال عز وجل ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[١].

ومن ثمرات هذا الركن العظيم الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تحرير القلب والنفس من التعلق بالمخلوقين والاعتماد عليهم في جلب المصالح ودفع المضار .

وثانياً : سعادة الدارين إذ لا سعادة للإنسان البشري في دنياه وبرزخه وأخراه إلا إذا حقق إسلامه على الوجه الذي أراده الله وبينه رسول الله ﷺ

وأما معنى الصلاة في اللغة : فهي الدعاء كما قال تعالى ﴿ وصل عليهم ﴾[٢] أي ادع لهم .

وفي الشرع : التعبد لله بفعلها مصحوباً بالنية الخالصة على الكيفية التي وضحها رسول الله ﷺ بفعله وقوله حيث قال ((صلوا كمارأيتموني أصلي))[٣] وهي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم ، وهي من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ولها ثمراتها ومنها : انشراح الصدر

---

(١) سورة الأعراف آية [١٥٨] .

(٢) سورة التوبة آية [١٠٣] .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأذان والجماعة باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة ١ / ٢١٢ [٦٣١] . وكتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم ٤ / ٩٣ [٦٠٠٨] . وكتاب أخبار الآحاد ٤ / ٣٥٣[٧٢٤٦] . والدارمي في كتاب باب من أحق بالإمامة ١ / ٤٢ [١٢٥٣]

كما في قول النبي ﷺ « أرحنا يا بلال بالصلاة » [١].

وثانياً : هي قرة العين للنبي ﷺ ولجميع أتباعه بدليل قول النبي ﷺ «جعلت قرة عيني في الصلاة » [٢].

وهكذا من ثمراتها وفوائدها الانزجار عن الفحشاء والمنكر كما قال الله عز وجل ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [٣].

وأما معنى الزكاة وهي الركن الثالث وهي قرينة الصلاة في اللغة : فهي النماء والتطهير . وفي الشرع : هي التعبد لله بإخراج مال مخصوص من مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت حدده الشارع الحكيم .

ومن ثمرات الإيمان بهذا الركن :

أولاً : تطهير النفس من رذيلة الشح والبخل إذ هما خلقان ذميمان في كل شريعة من شرائع الله.

ثانياً : تدعيم الإسلام وسدّ حاجة المسلمين .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٣٦٤ ، ٣٧١ . وروى بنحوه الطبراني في الكبير ٦ / ٢٧٦ و ٢٧٧ [٦٢١٤] و [٦٢١٥] وكذلك في مجمع الزوائد ١ / ١٤٥ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣ / ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ عن أنس . والنسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء ٥ / ٢٨٠ [٨٨٨٧] و [٨٨٨٨] . وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح كتاب الرقاب باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ ٣ / ١٤٤٨ [٥٢٦١]

(٣) سورة العنكبوت آية [٤٥] .

ثالثاً : تنمية للمال المزكّى ، فما نقص مال من صدقة بل يزيد بل يزيد .

وأما معنى الصوم في اللغة : فهو الإمساك عن شيء ما .

وفي الشرع : هو الإمساك عن المفطرات بنية نهار رمضان عبادة لله وامتثالاً لأمره ، وله ثمرة عظيمة وهي ترويض النفس على ترك المحبوبات والمألوفات طلباً لمرضاة الله وطمعاً في نيل ثوابه يوم لقائه .

وأما الحج في اللغة : فهو القصد .

وفي لسان الشرع : هو قصد بيت الله الحرام للقيام بمناسك الحج وأداء جميع شعائره وله ثمرات منها :

الأول : ترويض النفس على بذل المال في سبيل الله لأن الحج من سبيل الله

ثانياً : التضحية بالنفس في جميع طاعات الله .

وبعد : فإن التطبيق الفعلي لهذه الأصول العظيمة في واقع الحياة يجلب للأمة المحمدية كل صلاح وفلاح في أمور دينها ودنياها فليتق العبد ربه وليحققها فإنها أصول دينية وعاصمة لدمه وماله وعرضه ومفتاح أصيل لدخول جنة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .[١]

---

(١) انظر الأجوبة السديدة للشارح ١ / ١٠ ـ ١٣ .

وذكر المؤلف رحمه الله بأن من أنواع العبادة الإيمان. والإيمان مرتبة عظيمة من مراتب الدين. وأركانه ستة كما ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور وهي (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى)[١].

ولكل ركن من هذه الأركان الستة معنى ينبغي فهمه فأما معنى الإيمان بالله عز وجل فهو التصديق بوجوده والإقرار الصريح بربوبيته والاعتراف الظاهر والباطن بألوهيته والإيمان على الوجه الحق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتطبيق ذلك تطبيقاً عملياً في واقع الحياة كما يريد الله وكما شرع رسول الله ﷺ كما قال الله عز وجل ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾[٢].

وقال سبحانه ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾[٣].

وقال تبارك وتعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[٤].

ومن ثمرات الإيمان بالله :

تحرير النفس من الرق لغير الله من المعبودات على اختلاف أنواعها وجعل

---

(١) سبق تخريجه ص ١١٧.   (٢) سورة الأنعام آية [١٠٢]

(٣) سورة البقرة آية [١٦٣] .

(٤) سورة الشورى آية [١١] .

العبادة خالصة لله وحده دون سواه .

وأما معنى الإيمان بالملائكة الذي هو الركن الثاني من أركان الإيمان فهو التصديق بوجودهم وأنهم من مخلوقات الله العظيمة خلقهم الله وجبلهم على طاعته فلا سبيل لهم إلى مخالفة أمره وقد أسند الله إليهم أعمالاً هامة لا يقوم بها سواهم فمنهم من ينزل بالوحي ومنهم من يصرف القطر والنبات ومنهم من يحفظ بني آدم من السوء والمكروهات إلى غير ذلك مما نعلم ومما لا نعلم ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾[١] ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾[٢] .

وللإيمان بهذا الركن ثمرات جليلة منها :

١ ـ العلم بعظمة الخالق سبحانه وقوته ونفوذ سلطانه حيث خلق هذا الخلق الذي لا يحصي عدده بشر وهم الملائكة .

٢ ـ شكر العبد ربه على ما أولاه من التربية العامة والخاصة والعناية البالغة ، فقد هيأ له ما في السماوات ومافي الأرض ومن جملة ذلك الملائكة على اختلاف وظائفهم المهمة ومراتبهم العظيمة ، فهم يحفظونه من كل سوء

(١) سورة المدثر آية [٣١] .

(٢) سورة الأنبياء الآيتان [٢٦ ، ٢٧] .

ومكروه وهم يستغفرون لأهل الإيمان وهم يكتبون الأعمال خيرها وشرها إلى غير ذلك من وظائفهم التي هيأ هم الله تبارك وتعالى لها.

٣ ـ وجوب محبة الملائكة لأنهم أنصح المخلوقات لعباد الله المؤمنين كما قال الله تبارك وتعالى عنهم ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ءابائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾[١] .

وأما معنى الإيمان بالكتب فهو الاعتقاد الجازم بأنها منزلة من عند الله تبارك وتعالى تكلم بها قولاً وأنزلها على رسله وحياً وصدق بها ذوو الإيمان برسله حقاً وصدقاً وقد أمر الله الأمة المحمدية كلها أن تعلن إيمانها باطناً وظاهراً بما أنزله على الأنبياء السابقين حيث قال سبحانه ﴿ قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له

(١) سورة غافر الآيات [٧ ، ٨ ، ٩] .

مسلمون ﴾[١] .

وأما معنى الإيمان بالرسل فهو الاعتقاد الذي لا شك فيه أن الله بعث رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ فمن اقتدى بهم واستجاب لدعوتهم فقد اهتدى ومن جحد رسالاتهم وكذب بها فقد ضل وغوى كما قال تعالى : ﴿ والذين ءامنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[٢] .

وللإيمان بالرسل فوائد عظيمة وثمرات جليلة منها :

١ ـ العلم القطعي برحمة الله العزيز الرحيم الذي لم يكل الخلق إلى عقولهم بل أرسل إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتباً .

٢ ـ اعتبار رسالاتهم نعمة كبرى أنعم الله بها على عباده في كل زمان ومكان .

٣ ـ محبة أولئك الرسل الكرام أهل النصح والصدق والأمانة والإخلاص ،

وأما معنى الإيمان باليوم الآخر فهو التصديق المبني على العلم المستمد من كتاب ربنا ومن سنة نبينا محمد ﷺ بأن الله سيبعث الخلائق بعد موتهم ثم

(١) سور البقرة آية [١٣٦] .

(٢) سورة النساء آية [١٥٢] .

يجمعهم ليوم لا ريب فيه ويجازي كلاً بعمله ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[١] .

ومن كذب بهذا اليوم أو بشيء مما سيكون فيه من الصراط والميزان والحوض والجنة والنار والجزاء على الأعمال وغيرها مما هو معلوم من الشرع بالضرورة فقد ضل سواء السبيل إذ أن ثبوت وقوع ذلك قد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

وللإيمان بهذا الركن فوائد منها :

١ ـ الإقبال على فعل الخيرات والحرص على اكتساب الحسنات من أقوال وأفعال ومعتقدات وما ذلكم الإقبال إلا لأن فاعلها يرجو ثوابها الذي وعد به في محكم التنزيل الحكيم وصحيح السنة المطهرة .

٢ ـ الكف عن المعاصي أقوالها وأفعالها باطنها وظاهرها إذ أن اقترافها سبب في عقوبة الله التي توعد بها العصاة الذين تعدوا حدوده وأضاعوا فرائضه وأعرضوا عما جاء به المرسلون الذي فيه صلاحهم وفلاحهم لو ءامنوا به واستقاموا عليه .

وأما معنى الإيمان بالقدر فهو الاعتقاد الجازم بأن جميع الكائنات علويها وسفليها كلياتها وجزئياتها ناطقها وصامتها متحركهاوساكنها قد قدرها

---

(١) سورة الزلزلة الآيتان [٧ ، ٨] .

الله وأحاط بها في القدم وستقع في أوقاتها وأماكنها المحدودة وعلى صفاتها المخصوصة حسب ما قدر لها في الأزل وللإيمان بالقدر مراتب أربع : الأولى : الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء . الثانية : الإيمان بكتاب الله الذي لم يفرط فيه من شيء . الثالثة : الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة الرابعة : الإيمان أن الله خلق كل شيء.[١]

وأدلة الإيمان بهذا الركن العظيم كثيرة في الكتاب والسنة لا ينكرها إلا كافر ولا يأولها بغير تأويلها الحق إلا جاهل أو متجاهل ، قال الله عز وجل ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾[٢]. وثبت في صحيح مسلم[٣] عن عبد الله ابن عمرو بن العاص[٤] رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف

---

(١) انظر كتاب الحياة في ظل العقيدة الإسلامية للشارح ص ٦٤ وما بعدها

(٢) سورة الفرقان آية [٢] .

(٣) مسلم هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب الصحيح وأحد الأئمة الحفاظ وأحد الأعلام المحدثين ، ولد عام ٢٦٠هـ وتوفي عام ٣١٥ هـ وكان عمره خمس وخمسون سنة تقريب التهذيب ٢ / ١٧٨ .

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد ، بالتصغير ابن سعد بن سهم السهمي ، أبو محمد ، وقيل أبو عبد الرحمن ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة ، وأحد العبادله الفقهاء ، مات في ذي الحجة ليالي الحرّة على الأصح بالطائف على الراجح . تقريب التهذيب ١ / ٥١٧ .

سنة » [١] وغير ذلك كثير .

ومن هذه النصوص الصريحة يتضح للمؤمن الصادق في إيمانه أن كل تحركات المخلوقات الاختيارية وغير الاختيارية لا تخرج عن إرادة الله تبارك وتعالى بل كل ما يقع في العالم العلوي والسفلي من إحياء وإماتة وصحة ومرض وفقر وغنى وطول عمر وقصره ونزول الأجل ووقته ومكانه وسببه وشقاوة وسعادة ورخاء وشدة وعسر ويسر وكفر وإيمان وخير وشر كل ذلك بتقدير الله الأزلي الذي سطره القلم الذي خلقه الله وأمره أن يكتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة فما أمر من الأمور أو حدث من الأحداث إلا وقد جرى به القلم في تلك الساعة إلى قيام الساعة ولا يلزم من ذلك أن يتكل العباد على ما كتب ويتركوا العمل فذلك عجز وانحراف عن توجيهات القرآن الكريم ووصية الرسول الصادق الأمين ، فلا بد إذن من الجد والاجتهاد في اكتساب الحسنات وترك السيئات فإن ذلك موجب لرضى رب الأرض والسماوات وسبب متين لدخول الجنات وتبوأ منازلها العاليات البهيات .

ولقد جاء في الحديث الذي رواه أحمد وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) رواه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤ / ٢٠٤٤ [٢٦٥٣] .

أنه قال للنبي ﷺ ((أرأيت ما يعمل فيه قد فرغ منه أو أمر مبتدأ قال فما قد فرغ منه فقال عمر رضي الله عنه أفلا نتكل ، فقال اعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر ، أما من كان من أهل السعاة يعمل للسعادة ومن كان من أهل الشقاء يعمل للشقاء))[١]. وفي رواية قال عمر « الآن نجتهد يا رسول الله »

ومن ثمرات الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره ما يأتي :

١ ـ الاعتماد على الله وتفويض جميع الأمور إليه لأنه واهب الحياة وقاضي الحاجات ومفرج الكربات ومتصرف في مخلوقاته كلها بما شاء وكيف يشاء

٢ ـ الابتعاد والحذر من الوقوع في داء العجب عندما يحصل الإنسان على مراده من حاجات الدين والدنيا ويشعر نفسه أن حصول كل محبوب ودفع كل مكروه إنما هو نعمة ربانية مقدرة من لدن حكيم خبير فليحمد الله عليها .

والمرتبة الأخيرة من مراتب الدين وبها ينتهي درسنا . مرتبة الإحسان الذي فسره النبي ﷺ بقوله الصريح « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده١/ (٦،٢٩)، ٢ / (٥٢،٧٧) ، ٣/(٣٠٤)، ٦/ (٤٤١) ورواه الترمذي في كتاب القدر باب ما جاء في الشقاء والسعادة ٤ / ٣٨٧ [٢١٣٥] و [٢١٣٦] قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وروي بنحوه في صحيح البخاري كتاب الأدب باب الرجل ينكث الشيء بيده في الأرض ٤ / ١٣١ [٦٢١٧].

تكن تراه فإنه يراك » .

والمعنى أن تعبد ربك وأنت مستحضر عظمته وقربه منك ومراقبته لك في كل حال من الأحوال وذلك يوجب الخشية والتعظيم لربك وحينئذ لا تقصر في طاعة ولا ترتكب معصية إجلالاً لله وخوفاً منه جل في علاه والدليل على ذلك قول الحق سبحانه ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾[١] وقوله ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنو ن ﴾[٢] وقول النبي ﷺ « إن الله كتب الإحسان على كل شيء »[٣].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(١) سورة البقرة آية [١٩٥] .

(٢) سورة النحل آية [١٢٨] .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ / (١٢٣، ١٢٤، ١٢٥)، ورواه الترمذي في كتاب الديات باب ما جاء في النهي عن المثلة ٤ / ١٦ [١٤٠٩] وقال عنه هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الضحايا باب الأمر بإحدا د الشفرة ٣ / ٦٢ [٤٤٩٤] وابن ماجه في كتاب الذبائح باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ٢ / ١٠٥٨ [٣١٧٠] . والدارمي في كتاب الأضاحي باب في حسن الذبيحة ٢ / ١١٢ [١٩٧٠] .

[١]
ومنه الدعاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :

فقد سبق معنا في الدرس الماضي الحديث عن التعريف بالإسلام وأركانه الخمسة والتعريف بالإيمان وأركانه الستة والتعريف بالإحسان وركنه مع إيضاح ذلك ببعض الأدلة التي وردت في الكتاب والسنة تبين أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان .

والمؤلف رحمه الله : ذكر هنا من أنواع العبادة أمثلة من العبادة صدرها بالإسلام الذي يشمل أنواع العبادات كلها ، كما قال تبارك وتعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[١] وأردف ذلك بالإيمان والإحسان وهذه الثلاثة مراتب الدين كله كما أسلفت بحيث لا يخرج عنها نوع من أنواع العبادات ولا مسألة من مسائل الدين بل كل عبادة وكل مسألة من مسائل دين الإسلام فهي داخلة تحت الإسلام والإيمان والإحسان .

واسترسل المؤلف رحمه الله في ضرب أمثلة من العبادة وهذه الأمثلة كالتفصيل بعد الإجمال فذكر من أنواع العبادات :

[١] الدعاء : والدعاء ينقسم إلى قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة وكلاهما في الواقع عبادة .

---

(١) سورة آل عمران آية [١٩] .

١ ـ فدعاء العبادة : هو التوجه إلى الله تبارك وتعالى بكل عبادة مالية أو بدنية أو هما معاً وفق شرعه المطهر وأوامره القيمة وفي مقدمة هذا النوع من العبادة توحيد الله تبارك وتعالى حيث دل عليه قول الحق ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[١] أي ليوحدون علماً أنه لا يتم توحيد عبد إلا بالبراءة من الشرك الذي هو ضد التوحيد ، لأننا إذا أتينا نعرف التوحيد بمعناه الشرعي نقول : هو إفراد الله بالعبادة والخلوص له من الشرك والبراءة منه ومن أهله قليله وكثيره صغيره وكبيره ، فلا يتم توحيد إلا ببراءة تامة من الشرك وأهله وجميع ضروبه وصوره. ولهذا قال العلماء « لا ولاء إلا ببراء»[٢]

٢ ـ دعاء المسألة : ودعاء المسألة هو الطلب من الله تبارك وتعالى لجلب المصالح الدينية والدنيوية ودفع المضار كذلك .

والطلب بهذه الصورة عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله تبارك وتعالى وقد قسم العلماء دعاء المسألة إلى أقسام منها :

(١) سورة الذاريات آية [٥٦] .

(٢) هذه من عبارات أهل السنة والجماعة في الاعتقاد : أي : لا ولاء للمسلمين إلا بالبراءة من الكافرين . فهي كلمة حق يراد بها حق .

وهي من عبارات الشيعة في الاعتقاد . أي : لا ولاء لآل البيت ، إلا بالبراءة من الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما ـ فهي عند « الرافضة » كلمة حق يراد بها باطل . النظائر ص ٣٠٢ وهجر المبتدع ص ١٨ .

والخوف[١]

ما لا يجوز طلبه إلا من الله تبارك وتعالى وحده ، فمن صرف منه شيئاً لغير الله عز وجل فقد أشرك بالله شركاً أكبر ، وذلك كمن يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى ، من جلب مصلحة أو دفع ضر ، أما الطلب من المخلوق شيئاً يقدر عليه فلا محظور فيه .

ومن أنواع العبادة :

[١] الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجلها وقد أمر سبحانه بإخلاص ذلك له فقال : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[١] وينبغي أن يكون مقروناً بالرجاء والمحبة .

وقد ذكر العلماء أن الخوف ثلاثة أقسام :

أحدها : خوف الشرك وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو ميت أو غائب من جن أو إنس أن يصيبه بما يكره . وهذا هو الواقع اليوم من عُباد القبور في بعض الأقطار يخافونها ويُخَوِّفون بها أهل التوحيد ، فهذا الخوف ينافي التوحيد .

الثاني : أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس فهذا محرم وهو شرك أصغر يجب الحذر منه .

الثالث : الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك ، فهذا

(١) سورة آل عمران آية [١٧٥] .

والرجـاء[١]

لا يذم صاحبه .

[١] الرجاء : والرجاء خلق المؤمنين والمراد به الطمع فيما عند الله عز وجل من الفضل والإحسان ومن خيري الدنيا والآخرة ، مع الإتيان بالأسباب ، والخوف والرجاء قرينان فلا بد أن يكون أحدهما مع الآخر فيكون العبد خائفاً من الله عز وجل ، خائفاً من عذابه راجياً رحمته .

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنه يغلب جانب الرجاء على جانب الخوف عند الاحتضار لئلا يجره الخوف إلى القنوط واليأس من رحمة الله وهو في وقت يودع فيه الدنيا .

وقد جاء في الحديث الثابت الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه »[١] . كما يرجح جانب إلجام النفس بالتقوى على جانب مرادها من شهوة جسدية أو رغبة في المال الحرام أو تقاعس عن فعل الطاعات والإقبال على المعاصي هنا ينبغي أن يرجح جانب الخوف ليكون علاجاً للنفس ، وهو ضرب من جهادها .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣ / ٢٩٣و ٣٢٥ و ٣٣٠و ٣٩٠ . ومسلم في كتاب الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ٤ / ٢٢٠٥ [٢٨٧٧] وأبو داود في كتاب الجنائز باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت ٣ / ١٨٦ [٣١١٣] ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب التوكل واليقين ٢ / ١٣٩٥ [٤١٦٧] .

[١] [٢] [٣]
والتوكل والرغبة والرهبة .

ومن أنواع العبادة :

[١] التوكل : معنى التوكل : الاعتماد على الله في كل شأن من شؤونك وتفويض جميع الأمور إلى الله وحده دون سواه كما أتى في الآية الكريمة الحصر والقصر ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾[١] .

إذن فالتوكل بهذا المعنى تفويض الأمور إلى الله عز وجل والاعتماد عليه وحده في جلب كل مصلحة ودفع كل ضر فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، عبادة من صرفها لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر .

وأما ما يسمى بالاعتماد على الغير من الأحياء فيما يقدر عليه من التسبب المباح في قضاء حاجة أو دفع كربة أو تنفيس هم وغم في حدود ما يقدر عليه الإنسان فهذا لا محظور فيه إذا أنزلته بغير الله تبارك وتعالى مع الاعتقاد أن غير الله إنما هو سبب من الأسباب في قضاء الحاجات ودفع الكربات .

ومن أنواع العبادة :

[٢] الرغبة : والمراد بها : الطمع فيما عند الله تبارك وتعالى من خيري الدنيا والآخرة مصحوبة ببذل الجهد في أسباب المغفرة وأسباب الرحمة وأسباب الرضا .

[٣] والرهبة : وهي شدة الخوف من عقوبة الله تبارك وتعالى العاجلة

(١) سورة النساء آية [٢٣] .

والخشوع والخشية [١]

والآجلة فمن صرف منهما شيئاً لغير الله تبارك وتعالى فقد كفر أو أشرك لأن الله تبارك وتعالى لا يرضى عن عباده أن يصرفوا هاتين العبادتين الجليلتين لأحد سواه ،وقد مدح الله تبارك وتعالى رسله وأنبيائه في سورة الأنبياء حيث ابتدأ ذكرهم بإبراهيم عليه السلام وفي ختم القصص قال: ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ [١] والرغبة والرهبة محلها القلوب ، أي قلوب العباد .

ومن أنواع العبادة :

[١] الخشوع والخشية : وكلاهما بمعنى التذلل لله عز وجل والانقياد له ظاهراً وباطناً ، مع كمال الحب لله تبارك وتعالى ، ولهذا فرق العلماء [٢] بين الخشية والخوف قالوا : إن الخشية خوف مصحوب بالتعظيم بينما الخوف قد يكون معه تعظيم وقد لا يكون معه تعظيم وهذا حق فقد يخاف الإنسان من عدو فخوفه من العدو مجرد من التعظيم ، وقد يخاف من سبع فخوفه منه مجرد من التعظيم له لكن الخشية لا تطلق إلا مصحوبة بالتعظيم .

قال الله عز وجل عن ملائكته الكرام ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾ [٣] وكما

---

(١) سورة الأنبياء آية [٩٠] .

(٢) انظر كتاب الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٣٠٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية [٢٨] .

والإنابة [١]

قال الله عز وجل عن العلماء صفوة الخلق ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [١] أي علماء الشرع ، العلماء بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام العاملون بذلك ، ولما كان صرفها لغير الله شرك حذر الله تبارك وتعالى من ذلك بقوله ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ﴾ [٢] .

ومن أنواع العبادة :

[١] الإنابة : ومعنى الإنابة الرجوع إلى الله عز وجل في كل لحظة من لحظات العمر لأن المؤمن لا يرى نفسه إلا مقصراً مهما بذل من جهد في طاعة الله لعظم نعم الله عليه وكثرتها فهو مقصر دائماً بما تحمل كلمة التقصير من معنى مهما بذل من جهد بالركوع والسجود والتحصيل العلمي والذكر الشرعي فالعبد مقصر لأن الله تبارك وتعالى له المنة وله الفضل ومامن خير يفعله الإنسان إلا ولله المنة والفضل والنعمة عليه لأنه هو الذي وفقه لعمل الخير وهداه إليه ، وحال بينه وبين عدوه الذي يغزوه دائماً ويصرفه عن فعل الطاعات ويوبقه في فعل المعاصي .

على هذا فالعبد منيب إلى الله في كل لحظة من لحظات عمره وبالأخص إذا أصيب بغفلة وإذا وقع في معصية ما وإذا قصر في طاعة فعند ذلك يلوم

---

(١) سورة فاطر آية [٢٨] .

(٢) سورة البقرة آية [١٥٠] .

[١]
والاستعانة

نفسه ويستيقظ قلبه ، فيرجع إلى الله عز وجل منكسراً بين يديه معتذراً إليه عازماً على أن يبدل السوء إحساناً وأن يبدل الغفلة استيقاظاً وأن يستأنف الحياة لتكون حياة عمل مصحوب بالصواب والإخلاص وصحة المعتقد .

فالإنابة في الحقيقة توبة لأنها تتضمن شروط التوبة من ترك المعصية وترك القصور ونبذ الغفلة والعزم على فعل الطاعة وهذه من شروط التوبة ولا شك

ومن أنواع العبادة :

[١] الاستعانة :

والاستعانة التي لا يجوز أن تصرف إلى غير الله هي الاستعانة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، فإذا صرفت هذه الاستعانة لغير الله كمن يستعين بمخلوق حي أو ميت على إنجاب الولد وجلب الرزق ودفع المرض وتأمين الخائف وقضاء الحاجة إلى غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله كما يفعله المشركون الوثنيون وإن كانوا يعيشون بين أظهر المسلمين فهذا شرك أكبر .

ولعظم شأنها فإن الله سبحانه وتعالى حصرها في التوجه إليه بقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[١] أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك ، وهذا

---

(١) سورة الفاتحة آية [٥] .

[١]
والاستعاذة

وعد من العبد وعهد أبرمه بينه وبين ربه ؛ فمن وفىَّ فله الجزاء الأوفى ومن نكث فإنما ينكث على نفسه .

أما الاستعانة بمخلوق حي فيما يقدر عليه الخلق مع تعلق القلوب بالله عز وجل واعتبار المعين سبباً من الأسباب فقط فهذا لا محظور فيه ؛ كأن تستعين بإنسان يعطيك مالاً ، أو يرفع لك متاعاً ، أو يبني لك بناءً ، ونحو ذلك من الأمور التي يستعان فيها بغير الله تبارك وتعالى لأنها ليست من صور الشرك وليست من ضروب الشرك .

ومن أنواع العبادة :

[١] الاستعاذة :

ومعنى الاستعاذة الإلتجاء إلى الله عز وجل وذلك أن العبد إذا قال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فالمعنى ألتجيء إلى الله عز وجل وألوذ بجنابه من الشيطان الذي أبعده الله وأخزاه لأنه عدو له وعدو لأولياء الله إذن : فاللياذ والإلتجاء عمل قلبي يعبر عنه اللسان لا يكون إلا بالله تبارك وتعالى لأنه هو الذي يسهل الخير ويقدره وهو الذي بيده التصرف المطلق في عالم السماء وعالم الأرض ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً إنما يقول له

والاستغاثة[١]

كن فيكون ﴾[١] فمن التجأ إلى غير الله واحتمى به ولاذ بجنابه فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فقد أشرك بالله شركاً أكبر يخرج من الملة .

ومنها :

[١] الاستغاثة : والاستغاثة كسابقتها طلب الغوث ، وطلب الغوث فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل لا يجوز أن يصرف إلى سواه في جلب المصالح ودفع المضار التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه كشفاء المريض ورد الغائب وإنجاب الولد وكشف الكربات وإدرار الرزق وإنزال المطر ، لا يستغاث في هذه الأمور إلا بالله وحده فإن استغاث أحد في شيء من هذه المسائل بغير الله فقد كفر أو أشرك .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه صبيحة ليلة « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء[٢] كذا وكذا فذلك كافر بي

(١) سورة يس آية [٨٢] .

(٢) قال الإمام الشافعي (من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان عليه أهل الجاهلية يعنون من إضافة المطر إلى أنه بنوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ لأن النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً ، ومن قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفرا وغيره من الكلام أحب إليّ منه) .

انظر الأم ١ / ٢٥٢ كراهية الاستمطار بالأنواء .

والذبح[١]

مؤمن بالكواكب » .[١]

فإسناد النعم وطلب الغوث من غير الله تبارك وتعالى من أعظم أنواع الشرك التي حذر منها القرآن الكريم والنبي ﷺ في صحيح سنته.

ومن أنواع العبادة:

[١] الذبح والمراد به: الذبح الذي يذبح على سبيل القربة ويدخل في ذلك كل دم يذبح للتقرب إلى الله عز وجل من هدي وصدقة ونذر وغير ذلك من الذبح المشروع كله لايجوز أن يتوجه به العبد إلا لله وحده فإذا ذبح لغير الله نذراً أو قربة يرجوا من ورائها نجدة ذلك الغير في جلب مصلحة أو دفع ضر فقد صرف هذه العبادة الفاضلة لغير الله عز وجل وكان بذلك كافراً مشركاً وأما مايتعلق بما يذبح عادة أو يذبح ضيافة وتكريماً، فهذا لا محذور فيه، إذا اتبعت فيه الشرع.

وقد أمر النبي ﷺ بإكرام الضيف في قوله: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[٢] ومن جملة إكرام الضيف الذبح له إكراماً وإحياء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب قول الله تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ ١ / ٣٢٦ [١٠٣٨] ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ١ / ٨٣ [١٢٥] . وأوله عن زيد بن خالد الجهني قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله وروسوله أعلم ، قال « أصبح ... »

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٤ / ٩٤ [٦٠١٨]

والنذر [١]

للسنة كما قص الله عز وجل عن إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ [١]. ولهذا يقول العلماء أن الواجب على القادر إذا نزل به ضيف أن يكرمه بذبيحة [٢] إن كان قادراً أما ما كان نسكاً عبادة فلا يجوز أن تصرف لغير الله، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك.

ومن أنواع العبادة:

[١] النذر: بأي شيئ كان سواء نذر بصوم أو حج أو اعتكاف أو دراهم أو أي شيئ يكون فهو عبادة ولايجوز صرفه لغير الله عز وجل كأن يقول إنسان نذرت لله تبارك وتعالى أن أصوم ثلاثة أيام تقرباً نذراً مطلقاً ليس مقيداً لأن النذر المقيد مكروه قال فيه النبي ﷺ (إن النذر لايأتي بخير إنما يستخرج به من البخيل) [٣] كأن يقول إن شفى الله مريضي فلله عليَّ كذا وإن تحصلت على كذا وكذا فلله عليَّ كذا من المال أو كذا من الصوم أو حج أو عمرة أو ما شاكل ذلك. هذا هو الذي حذر منه النبي ﷺ وهو يعتبر نذر مقيد ألزم

= ومسلم في كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ١ / ٦٨ [٧٤ - ٧٥ - ٧٧].

(١) سورة الذاريات آية [٢٦].

(٢) انظر أضواء البيان ٣ / ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب القدر باب إلقاء العبد النذر إلى القدر ٤ / ٢١١ [٦٦٠٨ - ٦٦٠٩] ومسلم في كتاب النذر باب النهي عن النذر أنه لايرد شيئاً ٣ / ١٢٦١ [٣ - ٧] واللفظ له.

والدليل قوله تعالى ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾[١]

العبد به نفسه فيأثم بعدم الوفاء به فوجب عليه الوفاء وجوباً.

والنذر المطلق:

كأن ينذر قربة من القربات لله تبارك وتعالى ليس لذلك سبب كأن ينذر صيام ثلاثة أيام أو ينذر مثلاً أن يذبح ذبيحة ويوزعها على الفقراء والمساكين ليس لذلك باعث إلا رجاء مغفرة الله عز وجل وفضله.

وهذه كأمثلة قدمها المؤلف رحمه الله وكل ما كان مثلها حكمه كحكمها من العبادات.

وبعد ذلك أتى بالأدلة مرتبة على هذه الأنواع ومنها:

[١] قول الله عز وجل ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾[١] أي مواضع السجود وأعضاء السجود هذه لله وحده، لأنه هو الذي انفرد بخلقهاوتسويتها، وجعل القُوَى فيها فلا تسجد هذه الأعضاء إلا لله ،لا لصنم ولا لبشر ولا لأي معبود من المعبودات الباطلة التي كان يعبدها أهل الشرك على اختلاف مللهم من وثنيين ويهود ونصارى ومجوس وغير هؤلاء من أنواع المشركين.

(١) سورة الجن آية [١٨].

فمن صرف منها شيئاً لغير الله، فهو كافر والدليل قوله تعالى ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لايفلح الكافرون ﴾[١] .وفي الحديث (الدعاء مخ العبادة)[٢]

[١] ومن الأدلة قول الله عز وجل ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾[١].

حكم الله تبارك وتعالى في هذه الآية بالكفر على من يدع مع الله إلهاً آخر أي يعبد مع الله إلهاً آخر إذ لا معبود حق إلا الله تبارك وتعالى.

وفي قوله ﴿ لابرهان له به ﴾ هذا الوصف خرج مخرج الغالب بيان ذلك أنه لايوجد معبود يعبد بحجة أو سلطان من كتاب أو سنة إلا الله تبارك وتعالى أما سائر المعبودات المخترعة الباطلة المذمومة فإنه لايقوم على عبادتها أي برهان.

[٢] وفي الحديث (الدعاء مخ العبادة)[٢] وهذا الحديث وإن كان في سنده ضعف إلا أنه يشهد له حديث صحيح بمعناه وهو قول النبي ﷺ (الدعاء هو العبادة)[٣] وكأن الدعاء بنوعيه دعاء العبادة ودعاء المسألة هما أساس

(١) سورة المؤمنون آية [١١٧].

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ماجاء في فضل الدعاء ٥ / ٤٢٥ [٣٣٧١]. وفي مشكاة المصابيح كتاب الدعوات ٢ / ٦٩٣ [٢٢٣١] وقال عنه الألباني حفظه الله إسناده ضعيف فيه ابن لهيعة وهو سئ الحفظ.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ في باب ما جاء في فضل الدعاء ٥ / ٤٢٦ [٣٣٧٢] وقال عنه حديث حسن صحيح وصححه الألباني في كتاب مشكاة المصابيح ٢ / ٦٩٢ [٢٢٣٠]، وصححه في صحيح سنن ابن ماجه كتاب الدعاء ٢ / ٣٢٤ [٣٠٨٦].

والدليل قوله تعالى ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾[١] .ودليل الخوف قوله تعالى ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[٢]

الدين وقاعدته ومن ذلك قول الله تعالى :

[١] ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ أمر صريح بالتوجه بدعاء العبادة ودعاء المسألة إلى الله وحده فهو الذي أمر بالعبادة والدعاء ووعد بالإستجابة وهو لايخلف الميعاد .

وحذر من الاستكبار عن عبادته بقوله ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾[١] والوعيد الشديد فيه معنى النهي عن عبادة غير الله والاستكبار عن عبادة الله وكل من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فهو مستكبر ولا شك ، وكل من ترك عبادة الله سواءً عبد غيره أم لم يعبد غيره فهو ممن يدخل تحت هذا الوعيد الشديد علماً أنه لايوجد أحد يترك عبادة الله إلا ويميل بعبادته إلى غير الله .

وقد لايرى أنه يعبد الأصنام والأوثان أو لا يرى أنه يعبد الشمس والقمر ولكنه يعبد الهوى الذي تمكن من قلبه حتى صرفه عن عبادة الله .

[٢] وقال عز وجل ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[٢] تحذير لأهل الإيمان من أن يصل بهم الخوف من مخلوق لايعتقدون بأنه يتصرف فيهم بإنزال الضر أو صرف الخير عنهم لأن هذا بيد الله جلّ وعلا .

---

(١) سورة غافر آية [٦٠] .

(٢) سورة آل عمران آية [١٧٥] .

ودليل الرجاء قوله تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾[١].ودليل التوكل قوله تعالى ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[٢] ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[٣] ودليل الإنابة قوله تعالى ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾[٤] ودليل النذر قوله تعالى ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾[٥].

---

[١] وقوله تبارك وتعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً ﴾[١]. في الآية الكريمة دعوة من الله تبارك وتعالى إلى الإخلاص في العمل وصلاحه وهما شرطان أساسيان في قبول الأعمال لايكون العمل صالحاً إلا إذا كان صواباً وكان خالصاً، ويبرأ صاحبه من كل نوع من أنواع الشرك. وهكذا بقية الآيات التي ضربت أمثلة لتلك الأنواع.

[٢] كقوله عز وجل ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[٢].

[٣] وكقوله ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[٣].

[٤] وقوله عز وجل ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾[٤].

[٥] ثم ختمها بقول الله تبارك وتعالى في قضية النذر ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾[٥].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) سورة الكهف آية [١١٠].

(٢) سورة المائدة آية [٢٣]

(٣) سورة الأنبياء آية [٩٠]

(٤) سورة الزمر آية [٥٤]

(٥) سورة الإنسان آية [٧].

الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة.[١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

مضى معنا الحديث مفصلاً على الأصل الأول من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها الذي هو معرفة الرب سبحانه وتعالى بذاته وأسمائه وصفاته وما يجب له من العبادة، وذكر شئ من أنواع العبادة، مع أدلتها والتي منها الإسلام والإيمان والإحسان والدعاء والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادات التي كلف الله سبحانه وتعالى بها المكلفين من عالم الإنس والجن وأما بيان الأصل الثاني من الأصول الثلاثة.

[١] (وهو معرفة دين الإسلام بأدلته من الكتاب والسنة)

فدين الإسلام: هو دين جميع المرسلين من أولهم نوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام كل رسول من الرسل وكل نبي من الأنبياء جاء يدعوا إلى دين الإسلام بمعناه الشرعي الذي هو الاستسلام والانقياد لله بالطاعة والخلوص له من الشرك.

ولم تختلف دعوة الرسل والأنبياء في هذا الأصل الأصيل وهو دين الإسلام دين العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه.

وهو الاستسلام لله بالتوحيد [١]، والانقياد له بالطاعة [٢]، والبراءة من الشرك وأهله [٣].

---

[١] وقد عرفه المؤلف بقوله: (هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله).

وهذا تعريف شامل للإسلام بأنه استسلام أي خضوع وتذلل لمن يستحق الخضوع والتذلل وهو الله عز وجل الذي انفرد بالخلق والرزق والتدبير والتصرف المطلق في جميع مخلوقاته.

[٢] (والانقياد له بالطاعة): الذي يتجلى في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه ومتابعة رسله فيما جاءوا به من عند الله تبارك وتعالى.

وحيث إنه لايتم ولاء إلا ببراء، فإن من تمام التعريف بدين الإسلام:

[٣] (البراءة من الشرك وأهله): فإذا وحدت الله تبارك وتعالى فعليك أن تتبرأ من الشرك والمشركين الذين هم أعداء الله وأعداء الرسل وأعداء المؤمنين لاتجوز محبتهم ولامودتهم ولا نصرتهم وإنما يجب بغضهم وعداوتهم والبراءة منهم عملاً بنصوص الكتاب ونصوص صحيح سنة النبي ﷺ.

والدين كله مراتب ثلاث، وقد مضى التنويه على المراتب الثلاث وأنها هي المنصوص عليها في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل المشهور الذي أتي إلى النبي ﷺ ليعلم الأمة أمر دينها فسأله عن

وهو ثلاث مراتب : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان[١] ، وكل مرتبة لها أركان[٢] فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٣]

أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان والساعة والنبي ﷺ يجيبه في كل ذلك بالجواب الشرعي ولما انتهى قال النبي ﷺ لأصحابه أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم[١] ، يعني لتسمعوا فتعلموا فتعملوا فتنشروا العلم على طريقة الرسل والأنبياء ، ولهذا قال المصنف رحمه الله بعد تعريف الإسلام قال :

[١] (وهو ثلاث مراتب : الإسلام والإيمان والإحسان)

أي الدين ثلاث مراتب إسلام وإيمان وإحسان .

[٢] (وكل مرتبة لها أركان) فأركان الإسلام خمسة وأركان الإيمان ستة وركن الإحسان واحد) .

وهذه قد مضى شرحها في درس سابق إلا أنه لا مانع من الإعادة المختصرة لكل ركن من الأركان التي قال فيها المؤلف :-

[٣] (فأركان الإسلام خمسة شهادة أن لا إله إلا الله) وسبق أن عرفنا أن لشهادة أن لا إله إلا الله أركاناً وشروطاً وحقوقاً ومكملات وهذا مدون فيما قد سبق وعلى العموم فمعناها النفي والإثبات فجملة (لا إله) تنفي جميع مايعبد من دون الله و(إلا الله) تثبت العبادة لله وحده دون سواه وهي

(١) سبق تخريجه ص [١١٧] .

وإقام الصلاة [١] وإيتاء الزكاة [٢]

شهادة أن محمداً رسول الله ركن واحد وليست ركنين وما ذلك إلا لتلازم الشهادتين علماً وعملاً ،فلا تقبل وتتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ولا تقبل الثانية إلا بالأولى.

ومن هنا فهماركن واحد إذ أن من شهد أن لا إله إلا الله لزمه أن يشهد أن محمداً رسول الله ، لأن الله هو الذي أرسله وامتن برسالته على الأمة ومن شهد أن محمداً رسول الله لزمه أن يشهد أن لا إله إلا الله لأن الله هو الذي أرسله ، فصاحب الشهادتين آمن بالمرسِل وآمن بالمرسَل وهذه حقيقة الإسلام.

[١] (وإقام الصلاة) وهي الركن الثاني والمراد بإقام الصلاة الإتيان بها على الوجه المشروع بدءاً بطهارتها ومروراً بأركانها وشروطها وواجباتها وبالكيفية التي شرحها رسول الله ﷺ بقوله وفعله وقال لنا (صلوا كما رأيتموني أصلي)[١]

[٢] والمراد (بإيتاء الزكاة) المال المخصوص من المال المخصوص من النقدين وعروض التجارة وبهيمة الأنعام والخارج من الأرض لطائفة مخصوصة ذكرهم الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة بقوله ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ﴾[٢] الخ الآية التي تضمنت ذكر الأصناف الثمانية.

(١) سبق تخريجه ص ١٢١.
(٢) آية [٦٠].

وصوم رمضان[١]

[١] والمراد (بالصوم) هو الشهر الذي فرضه الله، فرض صيامه، وسن النبي ﷺ قيامه. فرض صيامه من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، شهراً في السنة وكم من الأجر والفضل الذي رتبه الله تبارك وتعالى على صيامه وأخبر عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[١].

وأكرم الله الأمة فيه بليلة عبادتها خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهي من خصائص أمة محمد ﷺ، الذين استجابوا لله والرسول إذا جدُّوا واجتهدوا في رمضان وبالأخص في العشر الأواخر منه وتجنبوا كبائر الإثم والفواحش، وتصدوا لهذه الفضيلة التي طوى الله سبحانه وتعالى علمها بل أشار النبي ﷺ إلى ذلك إشارات (التمسوها في العشر الأواخر)[٢] وذكر ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان ١ / ٢٩ [٣٨] ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ١ / ٥٢٣ [١٧٣ ـ ١٧٥].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ٢ / ٦٤ [٢٠٢١] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى) ومسلم في كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ٢ / ٨٢٣ [٢٠٩ ـ ٢١٠].

وحج بيت الله الحرام[١]

---

[١] والسر في إخفائها والله أعلم لتجتهد الأمة في الطاعة والعبادة في الشهر كله لاسيما في العشر الأخيرة من الشهر، إتقاناً للصوم، واجتهاداً في القيام وانقطاعاً للعبادة، وتلاوة للقرآن إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي هي غذاء للأرواح وحياة للقلوب، فمن وفق لهذه الليلة فقد ظفر بعبادة مايزيد على ثمانين سنة.

[١] وأما (الحج) فقد فرضه الله عز وجل وجعله ركناً من أركان إسلامنا وقيد فرضيته بالاستطاعة. والمستطيع هو الذي يملك زاداً، وراحلة، وتأميناً لمن وراءه، وظفر بأمن الطريق، فهو المستطيع، لايجوز له أن يسوف أو يؤجل، وإنما يبادر ويسارع، لأنه لايعلم مافي المستقبل.

والعلماء يختلفون في فرض الحج هل هو على الفور أو التراخي؟ والذي عليه جمهور أهل العلم[٢] بأنه على الفور. بمعنى أنك متى استطعت وتمكنت لايجوز لك أن تؤخر ولايجوز لك أن تماطل اللهم إلا من عذر. غير أنه لايلزم من تعمد التأخير عدم القبول إذا أتى به في حياته.

(١) كما قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف مالوعينت لها ليلة لاقتصر عليها كما تقدم نحوه في ساعة الجمعة. فتح الباري ٤/ ٧٩٩.

(٢) كالإمام أحمد وأصحاب أبي حنيفة والمزني ومالك في الراجح عنه. انظر الموسوعة الفقهية ١٧/ ٢٤. الأفنان الندية للشارح ٣/ ٢٠٤.

فدليل الشهادة قوله تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾.[١]

وبعد أن ذكر المؤلف رحمه الله أركان الإسلام الخمسة ذكر أدلة كل ركن من أركانها لأن اسم الكتاب الثلاثة الأصول وأدلتها قال هنا :

[١] (فدليل الشهادة) يعني شهادة أن لا إله إلا الله قول الله عز وجل :﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ وهي أعظم شهادة وأجلها لأنها شهادة من الله لله على توحيده.

والجملة تؤدي معنى لا إله إلا الله ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ فالأولى تنفي جميع مايعبد من دون الله والجملة الأخيرة (إلا هو) بمعنى إلا الله تثبت جميع العبادة لله وحده دون سواه.

وشهد بهذه الشهادة تأسياً بالله عز وجل وطاعة له الملائكة الكرام شهدوا كلهم بأن الله لا إله إلا هو ، هو الذي يجب أن يعبد وحده ويطاع وحده ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وهذه منقبة عظيمة لملائكة الله الكرام لأن الله قرن شهادتهم بشهادته مباشرة وأشركهم في هذا الفضل.

والملائكة كما سبق معنا عالم من جملة العوالم خلقهم الله تبارك وتعالى من نور وجبلهم على طاعته فلا سبيل لهم إلى المعصية أبداً وجعلهم على أعمال لايقوم بها سواهم جاءت موضحة في نصوص الكتاب والسنة.

وأثنى الله عز وجل عليهم في آيات كريمات وبيّن النبي ﷺ فضلهم كذلك

فقال الله في حقهم ﴿ لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[١] وهكذا ذكرهم بقوله ﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسئمون ﴾[٢] يعني الملائكة.

وهكذا وصفهم الله بطول القنوت وحسن الطاعة فقال ﴿ يسبحون الليل والنهار لايفترون ﴾[٣] لايملون ولا يقصرون.

وأثنى الله عز وجل عليهم لنصحهم لعباد الله المؤمنين حيث يستغفرون لهم وهم لايشعرون ولكنهم يعلمون ويعتقدون، يبتغون من الله تبارك وتعالى لهم الفوز العظيم بجنات النعيم كما في سورة غافر في مطلعها حيث قال الله عز وجل ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ﴾[٤] الآيات.

ولما ذكر الاستغفار ذكر كيفيته ﴿ ويستغفرون للذين ءامنوا ﴾ قائلين ﴿ ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم

(١) سورة التحريم آية [٦].

(٢) سورة فصلت آية [٣٨].

(٣) سورة الأنبياء آية [٢٠].

(٤) سورة غافر آية [٧].

وأزواجـهم وذرياتهم إنك أنت العـزيز الحكيم. وقـهم السـيئـات ﴾ أي عقوبات السيئات ﴿ ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾[١] استـرسال في الدعاء وإلحاح فيـه رحمـة بأهل الإيمان الذين قـد يعثرون في الخطأ ويقعون في المعصية ولكنهم يتوبون ويرجعون إلى ربهم نادمين فهم يستغفرون والملائكة الكرام يستغفرون لهم والله تبارك وتعالى هو الغفور الرحيم.

(وأولوا العلم) وشهد أولوا العلم أن الله لا إله إلا هو، وهذه أيضاً منقبة من المناقب العظيمة للعلماء ولطلاب العلم على العموم علماء ومتعلمون، منقبة شريفة ومنزلة عالية رفيعة لأن الله سبحانه قرن شهادتهم بشهادة ملائكته والمعطوفة على شهادته سبحانه وتعالى، فلو علم الناس مافي العلم من الفضل والشرف والخير الدنيوي والبرزخي والأخروي لتسابقوا إليه وتنافسوا في تحصيله وسلكوا طريقه مادامت الروح في الجسد وليس لذلك منتهى حتى يأتي اليقين.

والمراد بأولي العلم، أي أهل العلم الشرعي، هذه الشهادة التي شهد الله بها لنفسه وشهد بها الملائكة الكرام وشهد بها أولوا العلم بكتاب الله وسنة نبيه

(١) سورة غافر آية [٩].

ومعناه: لا معبود بحق الله وحده. (لا إله) ، نافياً جميع مايُعبد من دون الله. (إلا الله) ، مثبتاً العبادة لله وحده ، لاشريك له في عبادته ، كما أنه ليس له شريك في ملكه. [١]

عَلَيْكُمْ ﴿ أنه لاإله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ . ثم بيّن المؤلف المعنى باختصار فقال :

[١] (ومعناه) معنى الشهادة : (لامعبود بحق إلا الله) فـ (لا إله) نافياً جميع مايعبد من دون الله و (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لاشريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه ، لا يدعي أحد بأنه شريك لله في الخلق أو في الرزق أو في الإحياء أو الإماته ونحو ذلك مما لايقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى ، لأنه لو ادعى مستكبر بأنه شريك لله عز وجل في الخلق أو الرزق أو الإحياء أو الإماته لطلب منه أن يظهر تصرفه أو أن يفعل ماادعى ، وأنى له ذلك ولهذا قال الله عز وجل ﴿ ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ [١] أي لو اجتمعوا أن يخلقوا ذباباً ماستطاعوا وأسهل من ذلك أن الذباب لو سلبهم شيئاً أو مسهم بأذى وارتفع محلقاً في الأجواء ماستطاعت الأيدي أن تصل إليه وهذا يدل على ضعف الإنسان البشري وأن الله عز وجل على كل شئ قدير ، ولهذا ختم الله هذه الآية بقوله ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ أي

---

(١) سورة الحج آية [٧٣].

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾[١].

ضعف الرجل الذي يطلب من الصنم المعبود شيئاً من المنافع أو دفع المضار فالمراد بـ (ضعف الطالب) هو المخلوق (والمطلوب) هو الذباب الطائر.

[١] وتفسير هذه الشهادة الذي يوضحها ما قصه الله عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام حيث أعلن لقومه وفي مقدمتهم أبوه الضال الذي رفض أن يستجيب لدعوة الحق رغم مابذل ابنه من النصائح اللطيفة التي تحمل الأدب وحسن الدعوة كما قص الله عز وجل ذلك علينا في القرآن ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئاً﴾[١] واسترسل في النصيحة ولكن حقت على أبيه كلمة العذاب فلم يستفد من دعوة ابنه البار شيئاً حتى مات ـ والعياذ بالله ـ على الكفر وقص الله خبر مفتاح دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام بقوله: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ فقد أخبر عن عبده وخليله إمام الحنفاء أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان. ومن هنا نفهم أنه لا ولاء إلا ببراء، وأعني به الولاء والبراء الشرعيين اللذين جاء ذكرهما في نصوص الكتاب وصحيح السنة فمن ادعى التوحيد ولم يتبرأ من المشركين ولم يبغضهم ويبغض معبوداتهم وعقائدهم فما تم توحيده، وقد أجمع أهل

(١) سورة مريم الآيتان [٤١، ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.[١]

العلم على أن الكلمة هي: لا إله إلا الله وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي أريد به فعبر عن المنفي بها بقوله: ﴿إنني براء مماتعبدون﴾ وعبر عما أثبته بقوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾ فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك فما أحسن التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه.

ألا وإن تحقيق الشهادة والبراءة من الشرك وأهله بقيت في ذرية إبراهيم مفطورون عليها إلا من انحرف فإنه عدل عن الفطرة التي قال الله عز وجل في شأنها ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ والتي قال النبي ﷺ في حقها: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[١].

[١] ومن جملة الأدلة على تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله والبراءة من الشرك والمشركين قول الله عز وجل ﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ١ / ٤٢٤ [١٣٨٥] ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤ / ٢٠٤٧ [٢٦٥٨].

(٢) سورة آل عمران آية [٦٤].

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[١].

وهذا الخطاب للنبي ﷺ أمره الله أن يوجهه إلى اليهود والنصارى لأنهم هم أهل الكتاب :التوراة والأنجيل ،ولأنهم يدّعون بأنهم أهل رسالة وأهل عبادات ،فأخبرهم النبي ﷺ بأنه رسول الله إلى الناس جميعاً فيدخل في ذلك أهل الكتاب ، غير أنهم امتنعوا من الإيمان برسالة النبي ﷺ ومن جملة عرض النبي ﷺ دعوته الكريمة عليهم ماقصه الله بقوله ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ ثم فسرت هذه الكلمة بقوله ﴿ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ هذه الكلمة هي التي بمعنى لا إله إلا الله وأخبره الله تبارك وتعالى في خاتمة الآية عند إعراض القوم واستكبارهم عن الإيمان برسالته التي تدعوا إلى توحيد الله وتحذر من الإشراك به ، فإن أعرضوا يا محمد فقل أنت وأصحابك ﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾ أي منقادون لأمر الله عز وجل، نفرده بالعبادة ، وفي مقدمتها توحيد رب العالمين، والبراءة من الشرك والمشركين.

[١] وأتبع المصنف شهادة أن لا إله إلا الله وأدلتها بالدليل على شهادة أن محمداً رسول الله ، الدليل الذي يثبت أن محمداً رسول الله حقاً وصدقاً لاشك في رسالته فقال :(ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[١] فأثبت الله عز وجل رسالة نبيه محمد ﷺ التي أنكرها اليهود والنصارى، وادعوا بأنها إنما هي رسالة للعرب أما هم فليسوا من أهلها وليسوا معنيين بها لأن رسالتهم رسالة كبرى كما يدعون، فبين الله عز وجل منزلة رسوله عليه الصلاة والسلام بأنه رسول حيث قال ﴿لقد جاءكم رسول﴾ والتنكير لهذه الكلمة يدل على التشريف والتعظيم أي رسول عظيم القدر هو من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وصدقه وأمانته في الجاهلية والإسلام وكان يسمى الأمين قبل إرساله وبعثته ويضعون عنده الودائع لأمانته وصدقه وكان مطاعاً فيهم حتى جاء الحق الذي أنقذهم الله به والذي فيه ما ينقلهم من باطلهم وضلالتهم وبدعهم وفي مقدمتها الشرك بالله عز وجل وعندئذ أنكروا ماكانوا يعرفون من النبي ﷺ من الصدق والأمانة والوفاء وغير ذلك من مكارم الأخلاق فقالوا بعد ذلك ساحر وقالوا مجنون وقالوا كاهن وقالوا يفتري الكذب إلى غير ذلك من الأقاويل الباطلة التي نزه الله عنها رسوله عليه الصلاة والسلام وزكاه في آيات متعددات منها قول الله ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم﴾ يعني يشق عليه مايعنتكم ويشق عليكم ويحب لكم كل فرج ومخرج وحريص عليكم

(١) سورة التوبة آية [١٢٨].

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب مانهى عنه وزجر ، وأن لايعبد الله إلا بما شرع.[١]

لتهتدوا﴾ بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ صاحب رأفة ورحمة بأهل الإيمان لأنهم استجابوا لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

أما أعداء الله الكفار على اختلاف مللهم من يهود ونصارى ووثنيين وملحدين ومنافقين فهؤلاء أمره الله تبارك وتعالى أن يكون مبغضاً لهم وصاحب غلظة عليهم كما قال الله عز وجل: ﴿واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾[١]. وزكاه عز وجل بقوله ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾[٢] إلخ الآيات في هذا المعنى.

[١] وهذه الشهادة شهادة أن محمداً رسول الله لها شروط ذكرها العلماء من معناها:

١ـ طاعة النبي ﷺ فيما أمر.

٢ـ تصديقه فيما أخبر.

٣ـ اجتناب ماعنه نهى وزجر.

٤ـ أن لايعبد الله إلا بماشرع رسول الله ﷺ إذ لاطريق إلى مرضاة الله إلا من طريق رسول الله عليه الصلاة والسلام. والله أعلم.

(١) سورة التوبة آية [٧٣].

(٢) سورة النجم الآيات [١ ـ ٥].

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فقد مضى معنا جملة من الأدلة على الأصل الثاني من الأصول الثلاثة الذي هو معرفة دين الإسلام فمضى معنا تفصيل أركان الإسلام وأدلة الشهادتين، ثم واصل المؤلف الاستدلال على ثبوت هذه الأركان فقال:

[١] ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد. قوله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ وهذه الآية الكريمة ذكر الله عز وجل فيها دليل التوحيد ودليل الصلاة ودليل الزكاة وذكر وجوب الإخلاص في جميع الأعمال أقوالها وأفعالها ظاهرها وباطنها، ففي قوله عز وجل ﴿ وما أمروا ﴾ أي ما أمرت الخليقة. إلا ليوحدوا الله ويتقربوا إليه بكل عبادة مالية أو بدنية مستصحبين الإخلاص في ذلك، إذ إن الإخلاص ركن من أركان قبول الأعمال فإذا كان العمل غير خالص لله عز وجل فهو غير مقبول وإذا كان العمل غير صواب فهو غير مقبول،وإذا كان العمل صادراً عن سيئ الإعتقاد فهو غير مقبول أيضاً كذلك وأمرهم الله عز وجل أن يكونوا حنفاء بمعنى مائلين عن الشرك وضروبه كبيره وصغيره مقبلين على التوحيد بجميع أنواعه وحقوقه ومكملاته،مقيمين لصلواتهم بما تحمل كلمة الإقامة

ودليل الصيام قوله تعالى ﴿ يأأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [١]

من معنى، مؤدين زكاة أموالهم مما يملكون من الأصناف التي تجب فيها الزكاة بشروطها وضوابطها التي جاءت في الكتاب والسنة.

وختم الله عز وجل هذه الآية الكريمة من سورة البينة بقوله ﴿ وذلك دين القيمة ﴾ أي من وحد الله تبارك وتعالى وعبده على سبيل الصواب والإخلاص وكان مائلاً عن الشرك مقبلاً على التوحيد، مقيماً لصلاته مؤدياً لزكاته فقد أقام الدين الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله ﴿ وذلك دين القيمة ﴾ وذكره الله تبارك وتعالى أيضاً في قوله ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [١] وألزم الله به العباد في قوله ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [٢]. ثم قال المؤلف رحمه الله:

[١] ودليل الصيام قوله تعالى ﴿ يأأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [٣] وهو دليل صريح على فرض صيام شهر رمضان الذي فرضه الله تبارك وتعالى على أمة محمد ﷺ على صفة مخصوصة ذكرها الله عز وجل في كتابه وذكرها النبي ﷺ في سنته، ذكرها الله في كتابه أي ذكر بداية الصوم ونهايته حيث قال: ﴿ فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا

(١) سورة آل عمران آية [١٩].

(٢) سورة آل عمران آية [٨٥]. (٣) سورة البقرة آية [١٨٣].

الصيام إلى الليل ﴾[١] فهذه المدة الزمنية التي أمر الله تبارك وتعالى أن تصام وأن يمسك فيها المسلمون والمسلمات في هذا الشهر العظيم الذي فرضه الله على الأمة المسلمة في عامها ليكون تطهيراً لنفوسهم وتزكية لجوارحهم وإحياءً لقلوبهم وتكثيراً لحسناتهم وتقليلاً لسيئاتهم فكله خير وكله صلاح وفلاح، رحمة بهذه الأمة الضعيفة التي قصرت أعمارها وكثرت أشغالها فناداهم الله عز وجل في هذه الآية بوصف الإيمان وهو أشرف الأسماء بالنسبة للمخاطبين،أشرف من النداء بيا أيها الناس أو المسلمون لأن للإيمان معنى أعظم من معنى الإسلام وأعظم مما دل عليه كلمة الناس التي يشترك فيها البر والفاجر والمسلم والكافر وهذا من حسن أساليب القرآن، ومن لطف الله تبارك وتعالى بعباده المؤمنين في دعوته لهم ليمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، فشرفهم بهذا اللقب وأتبعه بذكر فرض الصيام فقال ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ وكتابة الصيام فرضيته على سبيل الوجوب وفي قوله ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ دليل على أن فريضة الصيام ليست من خصائص أمة محمد ﷺ بل هي فريضة فرضت على كل أمة من الأمم، ولهذا قال ﴿ على الذين من قبلكم ﴾ كما كتب على الذين من قبلكم من الأمم فأصل فريضة الصيام مكتوبة ومفروضة على الأمم السابقة عبر

(١) سورة البقرة آية [١٨٧].

ودليل الحج قوله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.[١]

تأريخها إلا أنه تختلف الكيفية، كيفية صيام أمة محمد ﷺ عن كيفيات صيام الأمم السابقة قبلها.

وختم الله تبارك وتعالى هذه الآية الدالة على فرضية الصيام وتحتمه بذكر العلة الداعية إلى الالتزام والانقياد للقيام بعمل هذا الفرض الذي يعتبر ركناً من أركان إسلامنا فقال ﴿لعلكم تتقون﴾ الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ومن جملة الأوامر الصيام وحقاً أن من حافظ على هذه الفرائض ومن جملتها الصلاة والزكاة والصوم فإنه يتصف بصفة التقوى التي ختمت بها الآية في قوله ﴿لعلكم تتقون﴾ أي تتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ومتابعة رسوله عليه الصلاة والسلام في كل قول وفعل وعمل ظاهراً وباطناً على سبيل الرضا والتسليم والمحبة والامتثال.

[١] ودليل الحج قوله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

والآية دليل واضح على فرضية الحج ولكن فرضيته مقيدة بالاستطاعة فمن لم يكن مستطيعاً فلايجب عليه حج ولا عمرة.

والاستطاعة - كما أسلفنا في حديث مضى[١] - أن يجد المكلف زاداً وراحلة ذهاباً وإياباً، وإن لم يجد أيضاً راحلة وكان متمكناً وقادراً على المشي

---

(١) في ص ١٥٤

المرتبة الثانية : الإيمان [١]

بقرب المكان فإنه أيضاً يجب عليه ، وهكذا أيضاً يشترط أمن الطريق بحيث يأمن على نفسه ويأمن على ماله فلا يناله أحد بسوء .

وختم الله تبارك وتعالى الآية بحكم من كفر من جحد فرضاً من فرائض الله وأنكره ولم يؤمن به كمن ينكر فرض الحج وغيره من الفرائض فإنه يكون بذلك كافراً ، ومن كفر فإن كفره على نفسه ، كما قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ [١] وهنا قال ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ وهم الفقراء إليه .

وبهذه الأدلة ينتهي البحث في المرتبة الأولى التي هي الإسلام بجميع أركانه وقد أتبع المؤلف هذه المرتبة بالمرتبة الثانية وهي :

[١] (مرتبة الإيمان) والإيمان انقسم الناس في حقيقته إلى أصناف متعددة

الصنف الأول : الجهمية عرفوا الإيمان بأنه هو المعرفة بالقلب فقط وهذا تعريف غير صحيح بل هو باطل وفاسد وكما سيأتي تعريفه الصحيح عند أهل السنة والجماعة سابقاً ولاحقاً .

وعرفته فرقة ثانية من فرق الابتداع وهم الكرامية [٢] : فقالوا أن الإيمان هو

---

(١) سورة لقمان آية [٢٣] .

(٢) الكرامية : هم أصحاب أبي عبدالله بن محمد بن كرام السجستاني المبتدع ، شيخ الكرامية ومصنف كتبهم لهم ضلالات كثيرة منها قولهم : الإيمان هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب ، فمن نطق بلسانه ولم يعترف =

النطق باللسان فقط ، أي عندهم إذا قال الإنسان بلسانه آمنت بالله أو شهد الشهادتين ولم يعمل الأعمال التي فرضها الله وأوجبها فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان وهذا فاسد لأنه غير صحيح والأدلة القرآنية وأدلة السنة ترد عليهم بأنه لابد في الإيمان من اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان.

وعرفته المعتزلة والخوارج بأنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ولكن لايزيد ولا ينقص.

وهذا التعريف وإن كان كاد يقرب من تعريف أهل السنة والجماعة للإيمان إلا أنه أيضاً تعريف ناقص ومن ثمَّ لايعتبر ولا يؤخذ به لأنه ثبت بنصوص الكتاب والسنة بأن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وأنه يزيد وينقص.

يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة كما في قول الله عز وجل في وصف أهل الإيمان ﴿ وإذا تليت عليهم

= بقلبه فهو مؤمن ، وزعموا أن المنافقين كانوا مؤمنين بالحقيقة ، وهذا خلاف قول الله تعالى إذ يقول وقوله الحق ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ .

انظر الملل والنحل ١ / ٩٩ وعقائد الثلاث والسبعين فرقة ١ / ٢٧٥ والفرق ٢١٥ .

آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾[١] وكما في قوله عز وجل ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم ﴾[٢]. وكما أخبر النبي ﷺ عن نقصان الإيمان بقوله (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ..)[٣] الخ الحديث الذي يدل على أن الإيمان ينقص بارتكاب المعاصي واجتراح السيئات.

وافترقت المعتزلة والخوارج الذين عرفوا الإيمان بهذا التعريف في حكم مرتكب الكبيرة فقالت المعتزلة مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين أي بين الإسلام والكفر فلا يكون كافراً ولايكون مؤمناً.

وقالت الخوارج في مرتكب الكبيرة ـ الذي يموت ولم يتب منها ـ إنه كافر خالد مخلد في النار حلال الدم والمال والعرض في الدنيا ومخلد في النار في

(١) سورة الأنفال آية [٢].

(٢) سورة محمد آية [١٧].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب إثم الزناة ٤ / ٢٥٢ [٦٨١٠]، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله ١ / ٧٦ [١٠٠].

قال البغوي وقيل معناه، نقصان الإيمان، يريد: لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن مستكمل الإيمان، بل هو قبل أن يقدم على الفجور، وبعد ما نزع منه وتاب أكمل إيمانا منه حالة اشتغاله بالفجور، وهو كقوله (لاإيمان لمن لا أمان له) يريد: لا إيمان له كاملا والله أعلم.

شرح السنة للبغوي بتصرف ١ / ٩٠ [٤٧].

الآخرة، وهذا قول على الله بدون علم مالم تكن الكبيرة شركاً أكبر أو كفراً أكبر أو نفاقاً اعتقادياً والمعتزلة توافق الخوارج في الحكم الأخروي وأن مرتكب الكبيرة وإن كان موحداً فإنه خالد مخلد في النار.

وهذا الحكم الجائر ترده نصوص الكتاب والسنة التي تقتضي بأن من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة وإن عذبه الله تبارك وتعالى بقدر ما جنى من كبائر الذنوب إلا أن مآله إلى الجنة ولاشك في ذلك ولاريب.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة [١] حيث جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد. وعرف بعض الفقهاء الإيمان بأنه: اعتقاد بالقلب وقول باللسان واختزلوا الركن الثالث وهو العمل فلم يدخلوه في مسمى الإيمان مع اتفاقهم مع أهل السنة والجماعة على أن أهل الكبائر متوعدون بالنار وأن الناس مجزيون على أعمالهم خيرها وشرها ووجه الخطأ عندهم أنهم لم يسلكوا مسلك أهل السنة والجماعة في ضابط الإيمان الحق الذي سيأتي ذكره.

ومن الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة كل من الأشاعرة والماتريديةوهؤلاء عرفوا الإيمان بأنه الاعتقاد بالقلب واختلفوا في الإقرار باللسان هل هو ركن زائد أو أصلي فقد أشار إلى ذلك أحدهم فذكر

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٩، والموسوعة الفقهية ٧ / ٣١٥.

عن علمائهم أنهم فسروا الإيمان بالتصديق واختلفوا في النطق هل هو داخل في حقيقة الإيمان أم خارج فقال:[١]

(وفَسَّروا الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق)

وفسر أهل السنة والجماعة سلفنا الصالحون الإيمان فقالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية واستدلوا على ذلك بالأدلة الصحيحة من كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

وبهذا العرض يظهر جلياً بطلان تعريف الطوائف التي عرفت الإيمان بتعريفات خاطئة ناقصة على اختلاف مراتبهم قرباً وبعداً من الصواب.

وظهر جلياً التعريف الحق للإيمان الذي نحن بصدد شرح أركانه وهو تعريف أهل السنة والجماعة له بأنه قول باللسان كالنطق بالشهادتين والنطق بالإيمان ويدخل في ذلك جميع الإقرار بالواجبات والفرائض وجميع أنواع الذكر الواجب والمستحب وأن الإيمان اعتقاد بالقلب لأن الحق مانطق به اللسان واتفق معه القلب وعملت به الجوارح مما جاء به من أنزل عليه الفرقان وأنه يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والأدلة على ذلك قائمة كما مضى معنا قريباً.

(١) برهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني في منظومته (جوهرة التوحيد) انظر مجموع أمهات المتون ص ٧.

وهو بضع وسبعون شعبة[١] فأعلاها قول : لا إله إلا الله[٢]، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[٣].
و الحياء شعبة من الإيمان.[٤]

وشرع المؤلف رحمه الله في بيان المرتبة الثانية من مراتب الدين التي هي مرتبة الإيمان وذكر بأنه شعب متعددة حيث قال :

[١] (وهو بضع وسبعون شعبة) والبضع من الثلاثة إلى التسعة وأن هذه الشعب لكل منها معنى من المعاني ومدلول من المدلولات الشرعية وأن لها أعلى ولها أدنى، ولما كانت كلمة لا إله إلا الله أصدق الأقوال وأزكى الأعمال الظاهرة والباطنة قال :

[٢] (فأعلاها قول لا إله إلا الله) بماتحمل هذه الكلمة العظيمة من معنى.

[٣] (وأدناهاإماطة الأذى عن الطريق) مما يدل على أن بين الأعلى والأدنى شعباً متعددة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وبذل النصيحة وعمل الخير على اختلاف أنواعه وشتى طرقه حتى إن من جملة الأعمال الزكية التي هي من شعب الإيمان أن تميط عن الطريق أذى لتساهم في دفع الأذى عن إخوانك المسلمين ولتبرهن أنك تهتم بشأنهم ثم ذكر أن من الإيمان :

[٤] (الحياء) والمراد به الحياء الشرعي وليس المراد به الذي يجر إلى الحرمان من العلم والخير وإنما هو الحياء الشرعي الذي كان النبي ﷺ يتصف به وهو الاستحياء من مواجهة الناس بالشر والاستحياء أيضاً مما لا يحب

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه،ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.[١]

الإنسان أن يظهر عليه غيره.

وأعظم الاستحياء الشرعي هو الاستحياء من الله تبارك وتعالى، والاستحياء من الله يجر إلى خير الأعمال وأزكاها، كما يجر أيضاً إلى الابتعاد عن معاصي الله التي تسخطه، كما يجر أيضاً إلى تذكر الموت وما بعد الموت من الجزاء على الأعمال في دار البرزخ ودار الآخرة هذا هو الاستحياء الشرعي وهو من الإيمان ولاشك. وقد ثبت أن النبي ﷺ مر برجل وهو يعظ أخاه في الحياء فقال له (دعه فإن الحياء من الإيمان).[١]

ومعنى الحديث أنه يعظ أخاه في الحياء فهو يريد منه أن يكون بغير هذا الوضع بحيث يخشى عليه أن يجره هذا الاستحياء إلى الحرمان من حظوظ النفس أو من أشياء مهمة فأخبره النبي عليه الصلاة والسلام أن الحياء لايأتي إلا بخير ولايجر إلا إلى خير.

[١] ثم ذكر المؤلف رحمه الله أركان الإيمان الستة التي مضى معنا التعريف بكل ركن من أركانها في درس سبق وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.[٢]

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الحياء من الإيمان ١ / ٢٤ [٢٤]، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان ١ / ٦٣ [٣٦].

(٢) وهو الدرس السابع.

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾[١]

ودليل القدر قوله تعالى ﴿إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾.[٢]

وذكر المؤلف الدليل على هذه الأركان الستة حيث قال:

[١] والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾.[١]

[٢] وذكر دليل القدر وهو قوله عز وجل:﴿ إنا كل شيئ خلقناه بقدر ﴾.[٢]

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة البقرة آية [١٧٧].

(٢) سورة القمر آية [٤٩]

المرتبة الثالثة : الإحسان : ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.[١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مضى معنا في الدروس السابقة الكلام على المرتبة الأولى والمرتبة الثانية من مراتب الدين وعرفنا أن المراد بالمرتبة الأولى ، الإسلام بجميع أركانه الخمسة والمراد بالمرتبة الثانية الإيمان بجميع أركانه الستة .

وهذه هي المرتبة الثالثة وهي مرتبة الإحسان وبها تكتمل مراتب الدين إذ هي إسلام وإيمان وإحسان وكل مرتبة من هذه المراتب لها أركان وقد مضى الحديث على أركان الإسلام وأركان الإيمان بشئ من التفصيل فلا نعيد ذلك [١] وموضوع درسنا المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي الإحسان ومعنى الإحسان هو فعل ما كان حسناً شرعاً وعقلاً لأنه ضد الإساءة ، وأحب الله الإحسان والمحسنين وكره الإساءة في الدين وكره المسيئين لأن الإحسان خير وفاعله فاعل خير والإساءة سوء تفضي بصاحبها إلى سوء العاقبة وشر المنقلب ، والإحسان قد فسره النبي ﷺ تفسيراً عاماً شاملاً كاملاً بقوله في حديث جبريل المشهور (والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[١] هكذا في جملتين قصيرتين ، وكم تحت هاتين الجملتين من معاني غير أن الإحسان له مقامان أحدهما أرفع من الآخر : ـ

(١) سبق تخريجه ص ١١٧

أما المقام الأعلى: فهو عبادة العبد ربه كأنه يشاهده وهذا مقام المشاهدة الطلب ومقام شوق النفس إلى خالقها وبارئها الذي كلفها بعبادته ووعدها على العبادة أتم الجزاء وأوفاه في دار الكرامة في دار الجنة التي كتب الله لها ولأهلها البقاء الدائم السرمدي فهي من الغايات، والوصول إليها من مطالب النفوس المطمئنة لأن العبد سينال فيها أعلى أنواع النعيم ومافي نعيمها دنيئ وأعلاه النظر إلى وجه الله الكريم والرضى الدائم من الرب الرحيم، ثم ما ذكر الله فيها من مآكل ومشارب ومناكح ومراكب وملك كبير وعيشة راضية إلى غير ذلك مما لم تسمع به الأذن ولم يخطر على قلب بشر فمن عبد الله على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

أما المقام الثاني: فهو عبادة العبد ربه خوفاً منه ووجلاً وهرباً من أليم عذابه كما أمرنا الله عز وجل بذلك في قوله ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ [١] والفرار من الله إليه وحده،وهو بفعل الطاعة وترك المعصية وفعل الخير وترك الشر.

إذن هذا المقام أن يعبد العبد ربه خوفاً منه ووجلاً وهو مستيقن ومطمئن بأن

(١) سورة الذاريات آية [٥٠].

الله يراه ،يراه في عبادته ويراه إن ارتكب معصية ، ويراه إن قصر في طاعته فإذا استشعر العبد أيضاً هذا المقام فإنه يكون له خير حافز على الإخلاص لله تعالى وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول . وأما في أي شئ يكون ؟ فإنه يكون في العبادة بفعل الأوامر وترك النواهي ويكون في العقيدة ويكون في الشعائر التعبدية كالأعمال الظاهرة جميعها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد ودعوة إلى الله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وبذل للنصيحة ودلالة على الخير إلى غير ذلك من أنواع البر والإحسان وبالدرجة الأولى معرفة الله الكريم الرحمن.

ويكون الإحسان في منهج الدعوة ، كما يكون الإحسان في باب الولاء والبراء أي من يجب أن نوالي ومن يجب أن نعادي على ضوء الكتاب والسنة وبميزان الشرع الشريف مجانبين ومبتعدين عن الهوى الذي ينحرف بصاحبه عن الخط المستقيم والطريق القويم ، فأما الإحسان في العقيدة وهو الفقه الأكبر فحقيقته أن يتوجه العامل بعمله كله فعلاً وتركاً ورغباً ورهباً وغير ذلك من أنواع العبادة إلى الله مخلصاً له الدين راجياً رحمته ومغفرته ونيل رضاه وخائفاً ووجلاً من أليم عقابه وغضبه وسخطه ومقته . والإحسان في العقيدة أيضاً الاعتراف بألوهية الله بحيث لا تعبد الخليقة إلا إياه

ولاتستعين إلا به بل وتفرده بكل عبادة مالية وبدنية ظاهراً وباطناً، عبادة مستوفية لركنين عظيمين:

الركن الأول: الحب لله عز وجل حباً شرعياً.

والركن الثاني: الذل والخضوع له عز وجل إذ هو المستحق لذلك وهذان ركنا العبادة عند علماء السلف، [١] بخلاف من انحرف فعبدالله بغير هذه الطريقة كمن عبد الله بالخوف وحده وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة بالغوا في قضية الخوف وبالغوا في الوعيد حتى اعتبروا عصاة الموحدين خالدين مخلدين في النار، لاشفاعة لهم ترجى، ولاذنب لهم يغفر ولاحظ لهم في الجنة وهذا تعسف وابتعاد عن رحمة الله وتيئيس للخلق من مغفرة الله عزوجل وسعة رحمته.

وأنتم درستم في عقيدة الخوارج والمعتزلة أنهم يرون أن من مات وهومرتكب كبيرة ولو كان موحداً فإنه يكون يوم القيامة خالداً مخلداً في النار وهؤلاء عبدوا الله بالخوف الذي غلو فيه حتى إنهم مارأوا إلا نصوص الوعيد.

(١) قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله: (ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة مالم يساعدها عمل القلب. ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولاتنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر) ولذا قال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد اهـ. معارج القبول (٢ / ٤٣٧) والفتاوى (١٠ / ١٤٩) وما بعدها.

وبخلاف من عبدوا الله بالرجاء وحده، وهؤلاء هم المرجئه الذين غلوا وبالغوا في نصوص الوعد الكريم حتى وصل بهم الحد أن قالوا لايضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة وهذا خطأ ظاهر فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون﴾ [١] وقال سبحانه ﴿أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ [٢] إلى غير ذلك من الآيات التي أنكر الله فيها على الكفار الذين رأوا بأن الله سبحانه وتعالى إذا كان يوم القيامة يوم الجزاء على الأعمال فإنه سيكون لهم عنده من المنازل ومن الجاه والتكريم ومن النعيم كالعيش الذي عاشوا فيه في الدنيا قياساً لأمر الآخرة على أمر الدنيا ألا ساء ما زعموا وبئسما اعتقدوا. إذن المرجئة قوم غلوا وبالغوا في نصوص الوعد الكريم وتركوا نصوص الوعيد جانباً بخلاف أهل السنة والجماعة علماء السلف وأتباعهم بإحسان فإنهم عبدوا الله تبارك وتعالى بالحب والرجاء والخوف والذل له سبحانه وتعالى، فوفقوا للصراط المستقيم لأن في هذه العبادة على هذه الصورة وعلى هذا الحال جمعاً بين نصوص الوعد

(١) سورة الجاثية آية [٢١].

(٢) سورة ص آية [٢٨].

والوعيد فلم يسلكوا مسلك الخوارج والمعتزلة ولم يسلكوا مسلك أهل الإرجاء الذين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ولم يسلكوا مسلك الصوفية الضالة المضلة. ومن الإحسان في العقيدة الإقرار بربوبية الله عز وجل وهذا النوع من التوحيد أقر به المشركون ولم يخالف فيه إلا شرذمة قليلة من أهل الإلحاد، كانوا يسمون الدهريين، سماهم القرآن بذلك حيث قال عز من قائل عنهم ﴿وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [١]، ويسمون بالملحدين أو الطبائعين أو الماركسيين لأنهم أنكروا وجود الله عز وجل واشتهر عنهم قولهم (لا إله والحياة مادة) فنسوا الله عز وجل ونسيانهم له إنما هو كبر وعناد وإلا فإنهم يعلمون أن لهم رباً خالقاً ورازقاً أنشأهم من العدم في هذه الحياة وينقلهم منها غير مختارين إلا أنهم يتفلسفون ويقولون إن الطبيعة هي التي توجد وتفني وقالوا كلمتهم الذميمة (إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع).

فإذا سئلوا عن الطبيعة قالوا قوة فاعلة، غير أنهم لايدرون عن حقيقة هذه القوة ولا عن صفاتها لأن مقالتهم هذه مجرد افتراء واصطلاح إلحادي، أما أهل السنة وأهل الحق من علماء وأتباع العلماء فإنهم ينسبون الخلق والإيجاد

(١) سورة الجاثية آية [٢٤].

والإماته والبعث والتصرف المطلق في عالم السماء وعالم الأرض إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

ومن الإحسان في العقيدة الإيمان بذات الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى على الوجه الذي يرضي الله تبارك وتعالى عنهم إيماناً بذاته وأسمائه وصفاته بدون تشبيه أو تمثيل وبدون تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، بل على الوجه الصحيح كما أمرهم الله عز وجل وعلمهم بقوله ﴿ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير﴾ [١].

أما الإحسان في الشعائر التعبدية بدأً بالطهارة التي فرضها الله سبحانه وتعالى في كتابه وبينها رسوله ﷺ بياناً مفصلاً في سنته حيث قال الله عز وجل ﴿ياأيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء ولم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ [٢].

فبين الله سبحانه وتعالى فرض الطهارة لأهميتها وكيف لاتكون مهمة وهي

(١) سورة الشورى آية [١١].

(٢) سورة المائدة آية [٦].

شرط أساسي من شروط صحة صلواتنا فريضة ونافلة بل وفي غيرها كالطواف بالبيت وتلاوة القرآن ونحو ذلك.

وبينها النبي ﷺ بقوله وفعله إذ قال في تعليمه للمسيئ في صلاته حيث قال له: (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء) [١]، فأمره بادئ ذي بدء بالطهارة، وأمر أصحابه أن يحضروا له ماءً في طست [٢] (فتوضأ لهم وهم يشاهدون) [٣]، ليحملوا عنه فقه طهارتهم فيعملوا به ويبلغوه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ١ / ٢٤٧ [٧٥٧] ومسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١ / ٢٩٨ [٣٩٧] ونصه عن أبي هريرة (أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي ﷺ فرد وقال: ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال: ارجع فإنك لم تصل (ثلاثاً). فقال والذي بعثك بالحق ماأحسن غيره، فعلمني. فقال ﷺ: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وافعل ذلك في صلاتك كلها). وزاد مسلم (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء. ثم استقبل القبلة فكبر).

(٢) الطست: جمع طسوت: إناء من نحاس لغسل الأيدي. المنجد ص ٤٦٦.

(٣) يشير الشيخ إلى الحديث الذي روي عن حمران أن عثمان رضي الله عنه دعا بوضوء، فغسل كفيه ثلاث مرات ثم تمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق، ثلاث مرات، ثم اليسرى مثل ذلك، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم اليسرى مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال رسول الله ﷺ: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لايحدث فيها نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب الوضوء ثلاثاً ثلاث ١ / ٧٢ [١٥٩] ومسلم في كتاب الطهارة باب صفة الوضوء وكماله ١ / ٢٠٤ [٢٢٦].

غيرهم وفعله هذا يعتبر بياناً للآية الكريمة التي في سورة المائدة. وأخبر الله عز وجل أنه متى فقد الماء أو فقدت القدرة على استعماله فعلينا أن نتيمم صعيداً طيباً فنمسح وجوهنا وأيدينا وأوضح ذلك النبي ﷺ كما في حديث عمار حيث قال له (إنما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض هكذا) [١] وضرب بهما ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين ومسح وجهه وكفيه وهذا بيان لكيفية التيمم سواء كان الحدث أكبر أو كان الحدث أصغر وامتداداً إلى الإحسان في الصلاة، والإحسان في الصلاة إقامتها، وإقامتها تشمل نواحي متعددة تتعلق بالصلاة من مراعاة دخول الوقت ومراعاة إتمام الطهارة، ومراعاة حفظ أقوالها وأفعالها وأذكارها التي قسمها العلماء بالتتبع والاستقراء من نصوص الكتاب والسنة إلى شروط وأركان وواجبات وسنن قولية وسنن فعلية. ومحل التوسع في إقامة الصلاة، كتب شرح الحديث وكتب الفقه، فقد أجاد العلماء وأفادوا رحمهم الله وما على طالب العلم إلا أن يمشي على الأثر ليحقق سنة سيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهكذا الإحسان في بقية أركان الإسلام وأركان الإيمان وسائر العبادات من فرائض ونوافل وواجبات كلها يجب أن تكون على سبيل الإحسان لأنه

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم باب المتيمم هل ينفخ فيهما ١ / ١٢٧ [٣٣٨] ومسلم في كتاب الحيض باب التيمم ١ / ٢٨٠ [٣٦٨].

شـرط أساسي من شـروطها وبدون الإحسان في العبادة لاتنال التقوى وبدون تقوى الله لايقبل العمل والدليل على أن الإحسان شـرط في كل عبادة يقوم بها الإنسان ابتغاء مرضاة الله قول الله عز وجل ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور﴾[١]. فقال وهو محسن فاعتبر الإحسان شرطاً أساسياً في إقامة الدين وإسلام الوجه لله الذي هو التوجه إلى الله على طريق الحق، علماً وعملاً ودعوة وخلقاًوأدباًوسلوكاً على مراد الله وعلى نهج رسول الله ﷺ وعلى نهج سلفنا الصالحين الذين تلقوا العلم عن رسول الله ﷺ، ورسول الله قد تلقاه عن جبريل عليه السلام الأمين وجبريل الأمين تلقاه عن رب العالمين، فهذا السند العظيم الذي أوصل العلماء الربانيين وأتباعهم إلى الحق الواضح المبين الذي رضيه الله تبارك وتعالى لهم وحثهم عليه ورغبهم فيه ودعاهم إليه وأثابهم عليه فتبارك الله أحسن الخالقين.

وهكذا يجب الإحسان في منهج الجهاد ومنهج الدعوة إلى الله عز وجل والدعوة ضرب من ضروب الجهاد وقد تكون الدعوة بتعليم الخلق وانتشالهم من الشرك إلى التوحيد على الوجه الصحيح، ومن ذل المعصيةإلى عز الطاعة، ومن حمأة الشر إلى فعل الخير فإن ذلك كله يكون من أعظم

(١) سورة لقمان آية [٢٢].

أنواع الجهاد لأن فيه إرضاءً للرب وإحياءً للقلوب وتبصرة للأمة ليعبدوا الله عز وجل على الوجه الذي أراده منهم وارتضاه لهم ولايكون إحسان في الدعوة إلى الله إلا إذا سلك الدعاة إلى الله مسلك الرسل والأنبياء في دعوتهم، وبالأخص بالنسبة لأمة محمد ﷺ ما جاء في كتابهم ليرسم لهم خط الدعوة ومنهجها الأصيل المأخوذ من قصص الرسل والأنبياء والمأخوذ أيضاً من قصص رجال أتقياء أولياء تابعوا الرسل في دعوتهم وصبروا كما قص الله عن مؤمن آل ياسين ومؤمن آل فرعون وامرأة فرعون كيف صبر الجميع وآثروا مراضي الله عز وجل على ما نزل بها من عذاب وغير هؤلاء من الصالحين المصلحين في كل زمان ومكان رحمهم الله وتولاهم وجعل الجنة منزلهم ومأواهم إذن: فالدعوة إلى الله بحاجة إلى ترسم خُطا الأنبياء والرسل الذين بدأوا بالدعاة إلى عقيدة التوحيد وإلى التزام التكاليف الشرعية أمراً ونهياً وإلى الدعوة للخلق بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [١] الآية ومن أمعن النظر في دعوة الرسل والأنبياء والتابعين لهم وجدها تختلف كل الاختلاف عن دعوات نشأت وأسست نتيجة أفكار خاطئة وسياسات مدمرة قد تخرب ولا تبني

[١] سورة الأنعام آية (٩٠)

وتفسد ولا تصلح ،ألا وإن من بنودها المظاهرات في كل البلدان لإزعاج الناس وربما تكون مظاهرات رجالاً ونساءً والاغتيالات والتنظيمات السرية في الأماكن التي لايجوز أن تكون فيها تنظيمات سرية، وغير ذلك من الأمور التي أساءت إلى الدعوة وأساءت بهذا التصرف إلى من يحب أن يدعو إلى الله لأنهم انتقلوا بالدعوة من خطها المستقيم إلى خطوط غير مستقيمة شرعاً وعقلاً، والذي يريد تبيان ذلك فعليه أن يقرأ القصص القرآني في دعوة الرسل والأنبياء وفي توجيهات الله عز وجل للخلق.

وعليه أن يقرأ سيرة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في دعوته الرحيمة وعليه أن يقرأ سيرة العلماء الربانيين، علماء الشرع علماء تفسير القرآن وتفسير الحديث وفهم العقيدة على وجهها الصحيح. وعلى طلاب العلم إن أرادوا أن يكونوا دعاة صالحين مصلحين أن يقرأوا نهج الدعوة فيما ذكرت من كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وطريقة علمائنا الربانيين الذين ورثوا لنا وبين أيدينا هذا العلم الشرعي في بطون الكتب من تفسير وعقيدة وحديث وشرح حديث وفقه ووسائل لهذه العلوم الشرعية التي لايستغني عنها طلاب العلم بحال.

إذن فلابد من الإحسان في منهج الجهاد ومنهج الدعوة إلى الله على الوجه

الذي أشرت إليه وهو مبسوط في مواضعه وفي كتب ألفها العلماء في هذا الشأن. وهكذا الإحسان يجب أن يكون في الولاء والبراء يعني من يجب عليك أن تواليه ومن يجب عليك أن تعاديه وهذا الركن من أركان الدين نص عليه القرآن الكريم ونص عليه النبي ﷺ في سنته المطهرة ففي القرآن الكريم قال الله عز وجل ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾[١] إلى آخر الآية من سورة المجادلة.

وقال تبارك وتعالى ناهياً عن موالاة الكفار ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولامنهم﴾[٢] إلى غير ذلك من الآيات التي ترشد إلى معاداة الكافرين والعاصين بقدر معاصيهم.

وهكذا الآيات والنصوص التي ترشد إلى ولاء من تجب موالاتهم يجب فهمها والعمل بها، فأول ما نتولى الله عز وجل فمن تولى الله تبارك وتعالى حقاً وصدقاً قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً تولاه الله ومن تولاه الله حفظه في دنياه وبرزخه وأخراه، قال الله عز وجل ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون *

(١) سورة المجادلة آية [٢٢].

(٢) سورة المجادلة آية [١٤].

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[١] ، ﴿ الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[٢] .

إذن يجب أن نتولى الله عز وجل ونبرهن على هذه الولاية بفعل طاعته وترك معصيته وحبه حباً عظيماً فوق محبة كل شئ سواه. ويجب أن نتولى رسول الله ﷺ محبة لشخصه ومحبةً وإيماناً لما جاء به ورغبة ومحبة منا أن نحشر تحت لوائه يوم تحشر الخلائق ويوم تدعى كل أمة إلى كتابها ويوم يدعى كل أناس بإمامهم.

والدليل على تولي رسول الله ﷺ يتضح بالتفاعل مع ماجاء به جملة وتفصيلاً من كتاب الله وسنته، نقتدي بهما في الاعتقاد وفي الأقوال والأفعال وفي السيرة الطاهرة النقية وفي التعامل بيننا وبين الله وفي التعامل بيننا وبين عباد الله على اختلاف أصنافهم وشتى مستوياتهم. والتولي لإخواننا المؤمنين محبة ونصحاً وصدقاً في الإخاء وحباً للخير لهم وكراهة

(١) سورة المائدة آية [٥٥].

(٢) سورة البقرة آية [٢٥٧].

لوصول الشر إليهم تحقيقاً لقول النبي ﷺ (المسلم أخو المسلم) [١] ولقوله عليه الصلاة والسلام (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) [٢] ولقوله عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [٣] وجاء في الأثر (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) [٤]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما (الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد

(١) وتمامه (لايظلمه ولايسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغضب، باب لايظلم المسلم المسلم ولايسلمه ٢ / ١٩٠ [٢٤٤٢] ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٦ [٥٨].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه ١ / ٢١ [١٣]، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه من الخير ١ / ٦٧ [٤٥].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤ / ١٩٩٩ [٢٥٨٦].

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أحمد ٣ / ٤٣٨ و٤٤٠، وأبو داود ٤ / ٢١٩ [٤٦٨١] في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وصححه الألباني. انظر صحيح سنن أبي داود ٣ / ٨٨٦ [٣٩١٥] وأخرجه البغوي في باب ثواب المتحابين في الله ١٣ / ٥٤ [٣٤٦٩] وسنده حسن، ورواه الترمذي عن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه بلفظ (من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله فقد استكمل الإيمان) قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وإسناده قوي في كتاب صفة القيامة باب إعقلها وتوكل ٤ / ٥٧٨ [٢٥٢١].

طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ـ قال ـ وإن عامة مؤاخاة الناس اليوم على الدنيا ولايجدي عنهم ذلك شيئاً)[١] قالها وهو في عصر النبوة فكيف بعصرنا هذا، لكن لله عز وجل عباداً ذكوراً وإناثاً في أرض الله يطبقون قاعدة الولاء والبراء كما جاءت بها النصوص إيماناً بما دلت عليه هذه النصوص ووفاء بما رسم الله لها في كتابها المنزل وعلى لسان رسوله المرسل.

ومن هنا وجب بغض الكافرين والمشركين بغضاً كاملاً لأنهم أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين. ووجب أيضاً بغض المنحرفين عن منهج السلف بقدر بعدهم عن الحق وتمسكهم بالباطل وهم في ذلك درجات منهم أهل البدع وما أشنعها ويكفي أن النبي ﷺ قال في حقها (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)[٢] أي صاحبها، وهو حكم عام يشمل جميع البدع الاعتقادية والقولية والفعلية والعملية، فموقف أهل السنة

(١) أخرجه ابن رجب في كتاب جامع العلوم والحكم ١ / ١٢٥، وخرجه ابن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة) ١ / ٤٠٦ [٣٩٦] وإسناده ضعيف لأجل ليث وهو ابن أبي سليم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢ / ٥٩٢ [٨٦٧]. وابن ماجه في المقدمة وهو قطعة من حديث طويل ١ / ١٨ [٤٦]. والنسائي في كتاب صلاة العيدين باب كيف الخطبة ١ / ٥٥٠ [١٧٨٦] وزاد (وكل ضلالة في النار) وهي عند البيهقي أيضاً في كتاب الجمعة باب كيف يستحب أن تكون الخطبة ٣ / ٣٠٣ [٥٨٠٠] قال عنها الألباني وسندها صحيح في إرواء الغليل ٣ / ٧٣ [٦٠٨].

والجماعة ـ وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله ﷺ ـ من أهل البدع الذين انحرفوا عن خط أصحاب رسول الله وما كانوا عليه. البغض لهم والتحذير منهم بل والبراءة من صنيعهم كما في قصة عبدالله بن عمر لما شكى إليه جماعة بأنهم سمعوا قوماً يقولون (لاقدر) فأتوا إلى عبدالله ابن عمر فاهتم بذلك اهتماماً شديداً وقال قولته المشهورة (أخبروهم بأني برئ منهم وهم برآء مني) [١] وهو من هو علماً وعملاً وتأسياً بالنبي ﷺ في كل شئ.

إذن فأهل البدع الذين يدعون الناس إلى بدعهم أياً كان نوع هذه البدع يجب أن يهجروا وأن يُحذروا وأن تترك مجالسهم والاجتماع معهم والغدو والرواح إليهم ومعهم وماذلك إلا لخطر البدعة وشؤمها ولما رتب العلماء الأفاضل المعاصي بالتتبع والاستقراء من نصوص الكتاب والسنة ذكروا القول على الله بغير علم أعظم المعاصي وأكبر الذنوب لأنه افتراء على الله واتبعوه بالشرك بالله تبارك وتعالى الذي لا يغفره الله وأتبعوا ذلك بالبدع الضالة المضلة لخطر البدع لأنها إحداث في الدين ما ليس منه والله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين فليست الأمة بحاجة إلى أن يأتي من يزيد ويتوسع في دينها ويأت بما لم يكن مشروعاً في دين الله نعم ليست الأمة بحاجة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١ / ٣٦ (٨) ورواه أحمد ١ / ٢٧، ٢٨، ٥٢.

إلى ذلك ولكن الأمة بحاجة إلى أن تعرف دينها وأن تعمل بمقتضاه وتدعوا إليه فهو دين كامل متكامل بشهادة الله تبارك وتعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [١] ومن جملة البدع بدع الجهمية والمعتزلة والخوارج والأشاعرة ونحلهم مفصلة في كتب العقائد كما من جملة البدع على الساحة التنظيمات السرية التي سميت بأسماء كإخوانية أو سرورية قطبية أوجماعة تبليغية أو جبهة كذا وحزب كذا ونحو ذلك من الأسماء التي سماها زعماء هذه الطوائف ودعوا الناس إلى الانخراط في نظمها ومناهجها كل هذه بدع باطلة، وكم فيها من الشرور والفوضى وكم انحرف أهلها عن منهج الولاء والبراء فعكسوا القضية فجعلوا الولاء والبراء لأئمة تلك الأحزاب والجماعات وإن كانوا في خطأ وابتداع ،وأذكر عبارة قالها رجل مؤلف اسمه جاسم المهلهل في كتابه (جلسات مع كتاب وقفات للدعاة فقط) وهو يرد على محمد بن سيف العجمي يرحمه الله الذي نصر منهج السلف ورد على المبتدعين هذه العبارة هي قول جاسم المهلهل (وإن منهج الإخوان ليرفض أي شخص لايتقيد بنظامه وإن كان من أورع الناس علماً وعملاً ومن أخشعهم في الصلاة [٢])

(١) سورة المائدة آية [٣].

(٢) انظر كتاب للدعاة فقط ص ١٢٢ لمحمد بن سيف العجمي يرحمه الله.

يرفضه يعني أنَّ الذي يقوم بهذه الطاعات ولكنه لايتقيد ببنود منهج الإخوان المسلمون الذي خططوه ورتبوه على غير منهج الحق .

إذن :إنه لم يطبق في هذا المنهج الإخواني قاعدة الولاء والبراء بحق بل عكست فيه القضية فقد يوالى فيه من لايستحق الولاء ويعادى فيه من لا تجوز معاداته.

ونحن نحذر دائماً إخواننا وأبناءنا من هذه الكتب التي هي نتيجة أفكار وتخطيط وملابسات أحاطت بالقوم وغايات أرادها القوم سواء تبليغيين أو إخوانيين أو غيرهم من أهل التنظيمات والسريات وماشاكل ذلك، نحذر أنفسنا ونحذر أبناءنا ونحذر إخواننا ونربطهم نصحاً لهم بكتاب الله عز وجل بالفهم الصحيح وبصحيح سنة رسول الله ﷺ كذلك وبمنهج السلف الصالحين في دعوتهم وولائهم وبرائهم على ضوء الكتاب والسنة، هذا هو الحق وهذا طريق الحق، فمن أحب لنفسه أن يمشي في صراط مستقيم ليرضي الرب الرحيم وينقذ نفسه من عذاب الله ومقته وسخطه فعليه أن يترسم خُطا هذا المنهج الكريم لأنه منهج رباني ومنهج نبوي ومنهج سلفي مأخوذ من كتاب الله ومن سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ولا يعدل عن هذين المصدرين الكريمين يمنة ولايسرة، فالعدول عنهما انحراف

وهكذا أيضاً الإحسان في السنن التي هي دون الفرائض،أعني سنن الصلاة الراتبة وغير الراتبة وسنن الذكر بأن يكون على الوجه الشرعي لاذكراً صوفياً ولاجفاء عن الذكر وهكذا في الصدقات النافلة ثم في طلب العلم والتوسع فيه ونشره ابتغاء مرضات الله والدار الآخرة.

ولايكون العبد محسناً في كل ذلك إلا إذا أخذ ماذكر من كتاب ربه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام الصحيحة ودرج على ما عليه سلفنا الصالح الذين فهموا هذا الدين حق الفهم، وما أشكل من الأمور ذات الخلاف التي يسوغ فيها الخلاف تبحث بواسطة العلماء الربانيين الذين إذا اختلفوا في مسألة ما من مسائل الشرع والدين ردوا ذلك إلى الكتاب والسنة امتثالاً لقول الله عز وجل ﴿ وما اختلفتم فيه من شيئ فحكمه إلى الله ﴾[١] وامتثالاً لقول الله عز وجل ﴿ فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ﴾[٢] أي إلى كتاب الله وإلى رسول الله ﷺ أيام حياته وإلى سنته الكريمة الصحيحة بعد مماته وفي الكتاب والسنة حلٌ لكل مشكلة ولكل واقعة قضية لأن الله عز وجل شرع هذا الدين ليكون للأمة جمعاء إلى أنتقوم الساعة وإلى أن يرفع هذا العلم إلى الله الذي أنزله.

(١) سورة الشورى آية [١٠]

(٢) سورة النساء آية [٥٩]

هذه حقائق شرعية سبيل معرفتها وفهمها حق الفهم السير المستمر في طلب العلم والجلوس في حلقاته ابتغاء مرضات الله وابتغاء تبصير النفس بالحق ومن ثم تبصير الغير، فخير الحسنات وأفضل القربات وأزكى العبادات أن يوفقك الله أيها المسلم لتتعلم علماً شرعياً ثم تعود به إلى إخوانك المسلمين داعياً ومعلماً ومبشراً ومحذراً وناصحاً ومجاهداً كما كان إمامك محمد ﷺ يفعل ذلك، فكان طيلة مكثه وغالب مكثه في المسجد يعلم الجاهل ويفتي المستفتي ويعقد ألوية الجهاد ويجهز السرايا ويعلم الناس، وبهذه السنة المجيدة أخذ أصحابه الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون.

ومانصيحة أبي هريرة رضي الله عنه لأهل السوق في المدينة عن الأذهان ببعيدة فقد غدا إلى المسجد ثم غدا إلى السوق، وكان قد خرج من المسجد وهو زاخر بحلقات العلم والذكر الشرعي والقراءة،حلقات كل يرغب نوعاً من أنواع العلم ونوعاً من أنواع العبادة، وخرج أبو هريرة من عندهم ونادى في أهل السوق، يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا: وماذا؟ قال: ميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد وأنتم هاهنا، فخرجوا مسرعين إلى المسجد ثم رجعوا فقالوا: مارأينا شيئاً، فقال: وماذا رأيتم قالوا رأينا حلقاً حلقة يتذاكرون فيها الحلال والحرام وحلقة يقرأون فيها القرآن وحلقة يذكرون الله

والدليل قوله تعالى ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [١]

تبارك وتعالى، قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ. [١]

فكلمة الإحسان ياأبناءنا الكرام ويا إخواننا الفضلاء كلمة عظيمة جليلة القدر واسعة لمعاني بحيث لانستطيع حصرها في مقام واحد وحسبنا مادوناه هنا على سبيل الاختصار ليعلم ويفهم والله أعلم وأحكم وأرحم.

[١] وقد أورد المؤلف رحمه الله من الأدلة على الإحسان قول الله عز وجل ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[٢]، قلت: ويكفيهم شرفاً أن الله معهم ومن كان الله معه فإنه لايضيع ولايمكن أن ينحرف ولايخيب لافي الدنيا ولافي البرزخ ولا في الآخرة.

وإذا أحببت أن يكون الله معك فعليك أن تكون محسناً في أعمالك الظاهرة والباطنة وقد وعدك الله وعداً كريماً ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ فالتقوى قرينة الإحسان وهو شقيقها، شيئان متلازمان وركنان عظيمان تقوى الله التي تتجلى في امتثال أمره واجتناب نهيه ومتابعة رسوله عليه الصلاة والسلام قولاً وفعلاً وعملاً ظاهراً وباطناً والإحسان في كل شئ من العبادات الظاهرة والباطنة أقوالها وأفعالها

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٢ / ٢٥٣ [١٤٥١]. والهيثمي في مجمع الزوائد كتاب العلم، باب في فضل العالم والمتعلم ١ / ٣٣١ [٥٠٥] وإسناده حسن.

[٢] سورة النحل آية (١٢٨)

[١]
وقوله ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾

وأعمالها على النهج الصحيح والوجه الصريح.

[١] واستدل رحمه الله بقوله تبارك وتعالى ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم ﴾ [١] وهذه الآيات من أبلغ المواعظ والتوجيهات الربانية السديدة، لأنه أمر بالتوكل على الله عز وجل ومن توكل على الله كفاه، وإشعار لأمة القرآن بأن الله تبارك وتعالى يرى حركاتها وسكناتها وتقلبهم لاتخفى عليه خافية من ذلك.

وختم الآية باسمين كريمين أحدهما السميع والثاني العليم وفيهما إثبات صفتين ذاتيتين:

الأولى: إثبات السمع لله عز وجل.

والثانية: إثبات العلم كذلك.

صفتان حقيقيتان تليقان بعظمة الله وجلاله.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة الشعراء الآيات [٢١٧ ـ ٢٢٠].

والأصل الثالث [١]: معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. [٢] وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً نبئ بإقرأ [٣] وأرسل بالمدثر. [٤]

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

مضى معنا الحديث في الدروس الماضية عن إيضاح الأصل الأول من الأصول الثلاثة والأصل الثاني، وموضوع هذا الدرس: الأصل الثالث، وهذه الأصول الثلاثة هي عنوان الكتاب وموضوعه (الأصول الثلاثة وأدلتها).

[١] والأصل الثالث يتعلق بمعرفة نبينا محمد ﷺ معرفة حقيقية شرعية من حيث النسب ومن حيث البلد ومن حيث ماجاء به النبي ﷺ من كتاب وسنة وهو أهم شئ في الموضوع والذي يجب أن يعتنى بمعرفته بالتفصيل.

[٢] وقد بين المؤلف رحمه الله نسب النبي ﷺ بقوله: (هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام).

[٣] وبيّن أن عمر النبي ﷺ (ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً).

[٤] كما أوضح المؤلف رحمه الله بأنه عليه الصلاة والسلام (نبئ بإقرأ وأرسل بالمدثر) وفرق بين النبوة والرسالة، نبئ بإقرأ أي أوحى الله عز وجل

بعثهِ الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.[١]

إليه صدر سورة إقرأ من بدايتها إلى قوله ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾[١]. ثم فتر الوحي بعد ذلك مدة، ثم بعد ذلك أمره الله تبارك وتعالى بإبلاغ الأمة حيث قال له ﴿ياأيها المدثر قم فأنذر﴾[٢]. وهذا النداء له سبب وهو أن النبي ﷺ لما أنزل عليه الوحي أول ما نزل صدر سورة ﴿إقرأ﴾ رجع إلى أهله وقال (دثروني دثروني، أي يطلب أن يغطى بالثياب لشدة ماوجد وفي رواية (زملوني زملوني) فأنزل الله عز وجل ﴿ياأيها المدثر قم فأنذر﴾ ﴿ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾[٣][٤] ففي نزول صدر سورة إقرأ لم يؤمر بالبلاغ مباشرة ولكن أمره ليعلم شيئاً من الوحي وأما في سورة المدثر فقد أمره تبارك وتعالى بالإنذار والعبادة.

[١] والإنذار لغة إعلام مع التخويف أي لينذر قومه ويخوفهم بعقوبة الله تبارك وتعالى لمن عصاه وعصى رسوله عليه الصلاة والسلام وأكبر معصية ماكان عليه كفار قريش قبل البعثة في جاهليتهم التي فيها من الفساد والضلال معلوم مما بينه الله تبارك وتعالى في كتابه وبينه النبي ﷺ في سنته وحفظته لنا وثائق التأريخ فأمره الله بالنذارة عن الشرك وعن كل رذيلة

(١) سورة العلق الآيات [١ ـ ٥]. (٢) سورة المدثر الآيتان [١، ٢].

(٣) سورة المزمل الآيتان [١، ٢]. (٤) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب (٣) ١ / ١٤ (٣، ٤) ومسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١ / ١٣٩ (٢٥٢).

وبلده مكة [١] والدليل قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر، [٢] قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر ﴾ ومعنى (قم فأنذر) ينذر عن الشرك ويدعوا إلى التوحيد [٣].

وعن كل جهالة ليحل محل الشرك التوحيد ويحل محل الرذيلة الفضيلة ويحل محل الجهل العلم ويحل محل قوانين الجاهلية شرع الله المطهر في بيان الحلال والحرام وسائر الأحكام.

[١] ثم أخبر المؤلف رحمه الله أن مكة حرسها الله هي بلد النبي ﷺ ولاشك في ذلك فـ (بلده مكة) وبلد آبائه وأجداده خير البقاع وأفضلها ،وزادها الله عز وجل تشريفاً وتكريماً ببعثة هذا النبي ﷺ منها وتطهيره هذا البيت الحرام الذي كان موطناً ومكاناً للآلهة المتعددة فقد ثبت أن حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً تعبد من دون الله عز وجل حتى حطمها النبي ﷺ عام الفتح، فقد كان يشير إليها بعصاه ويقول (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) [١].

[٢] وقد فسر المؤلف رحمه الله صدر سورة المدثر التي أرسل بها النبي ﷺ فالمدثر هو المتغطي بالثياب نتيجة الفزع الذي أصابه من نزول الوحي.

[٣] وفي قوله ﴿قم فأنذر﴾ خطاب للنبي ﷺ لينذر قومه أي ليخوفهم عذاب الله إن استمروا على الإشراك بالله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) ٣ / ٢٥٢ [٤٧٢٠]، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ٣ / ١٤٠٨ [١٧٨١].

﴿ وربك فكبر ﴾ أي عظمه بالتوحيد.[١] ﴿ وثيابك فطهر ﴾ أي طهر أعمالك من الشرك.[٢]

---

[١] وأمره بتعظيمه سبحانه في قوله ﴿ وربك فكبر ﴾ أي عظم ربك بتوحيده بما تحمل كلمة التوحيد من معنى. توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، هذه أنواع التوحيد وتقسيمها هذا هو الحق الذي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة من استكملها وأتى بلوازمها فهو الموحد ومن انتقص شيئاً منها فعنده نقص في التوحيد يجب أن يكمله وأن يتممه.

والأمر للنبي ﷺ أمر لأمته فكل مكلف من عالم الإنس والجن فهو مأموربتوحيد الله عز وجل الذي يتجلى في تحقيق تلك الأنواع الثلاثة. ولوازمها.

[٢] .كما أمره ربه بالطهارة في قوله ﴿ وثيابك فطهر ﴾ قال المؤلف طهر أعمالك من الشرك وهو تفسير حق، غير أن الطهارة إذا أطلقت على العموم هكذا فهي تشمل الطهارتين، الطهارة الحسية والطهارة المعنوية.[١]

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص ٦٤ مانصه (فاعلم أن ههنا أربعة أمور: أمران حسيان، وأمران معنويان. فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لايتم إلا بهذا وهذا. فذكر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من كل شطر قسماً نبه به على القسم الآخر. فتضمن كلامه الأقسام الأربعة في غاية الاختصار وحسن البيان، كما في حديث الدعاء بعد الوضوء (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) فإنه يتضمن ذكر الأقسام الأربعة). ا هـ.

[١]
﴿ والرجز فاهجر ﴾ الرجز الأصنام، وهجرها ـ تركهاوأهلها والبراءة منها وأهلها.

والطهارة المعنوية المراد بها التطهر من دنس الشرك بنوعيه كبيره وصغيرهوفي صوره وسائر البدع والمعاصي إذ أن الشرك والبدع والمعاصي قذارة ووساخة للقلوب والأرواح والجوارح ولذا تدرك معنى الدعاء المأثور في الاستفتاح وهو قول النبي ﷺ (اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس)[١]،فالخطايا تكون قذارة ووسخاً ودنساً يلوث القلوب ويلوث الأرواح والجوارح ولايتطهر منها الإنسان إلا بفعل الطاعة، كما تشمل الطهارة الحسية التي أمر بها النبي ﷺ وأمرت بها الأمة وهي طهارة الثوب وطهارة البدن وطهارة البقعة التي تتخذ مصلى، والآية تحتمل المعنيين وتتجه إليهما لأن التطهير من دنس الشرك أمر مطلوب بالدرجة الأولى، والتطهير أيضاً من النجاسات والحدث ومن الخبائث على اختلاف أنواعها أمر مطلوب للشارع كذلك.

[١] وفسر المؤلف (الرجز) بالأصنام وأمر بهجرها إذ أنه لايتم التوحيد إلا باجتناب عبادة الأصنام والأوثان التي كان يعبدها كفار قريش بل كفار العرب قاطبة قريش ومن يأوي إليها وغيرهم من مخلوقات الله على وجه الأرض قبل البعثة النبوية إلا من كان على ملة إبراهيم عليه السلام فبقي

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب مايقول بعد التكبير ١ / ٢٤٢ [٧٤٤]، ومسلم في كتاب المساجد باب مايقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ١ / ٤١٩ [١٤٧].

عليها أو بقايا من أهل الكتاب ولما كان إعلان البراءة من الشرك وأهله أمرٌ مطلوب إذ لايكفي أن تترك الشرك ولكن تترك الشرك وتتبرأ منه أي من عمله وتتبرأ من أهله وتعلن لهم البراءة وهذا أصل في البراءة من المعاصي على عمومها ومن العصاة سواءً من أهل الشرك أو من أهل النفاق أو من أهل البدع أو من أهل كبائر الذنوب تتبرأ منهم والبراءة من كل شئ بحسبه وكل شئ يقدر بقدره.

ولما كان شأن التوحيد عظيم إذ أنه مفتاح الجنة والعاصم في الدنيا للدم والمال والعرض وفارق بين المسلمين والكفار فالموحد هو المسلم والمشرك شركاً أكبر هو الكافر، ولما كان القوم في جاهليتهم لايعرفون من العبادات إلا عبادة الأصنام والأوثان والتبرك بها واللجوء إليها في حال الشدائد والكروب غالباً إذ قد يخلصون لله في بعض الشدائد والكروب كما في قول الله تعالى ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ [١] أما في حال الرخاء فإنهم لا يقدمون ولا يؤخرون إلا بعد التمسح بأصنامهم وأوثانهم سواءً كانت أشجاراً أو أحجاراً أو أخشاباً منحوتة أو شمساً أو قمراً أو نحو ذلك من المعبودات

(١) سورة العنكبوت آية [٦٥]

أخذ على هذا عشر سنين يدعوا إلى التوحيد .[١]

الباطلة التي كانت تعبد من دون الله حيث قد زين الشيطان لهم عباداتها كما قال الله عز وجل﴿ أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾[١]، ولما كان هذا شأن التوحيد وكان ذلك وصف الأمة وحالها الذي هو الإتفاق على الباطل وفي مقدمته الشرك والبدع والرذائل :

[١] فقد مكث النبي ﷺ عشر سنين يدعو إلى تحقيق التوحيد ، يدعوهم إلى كلمة لاإله إلا الله محمد رسول الله لأن كلمة لاإله إلا الله بتحقيقها يكون العبد قد توجه بالعبادة لله وحده دون سواه ونبذ تلك الأصنام والأوثان وبتحقيق شهادة أن محمداًرسول الله إيمان بالرسالة وتصديق ببعثة النبي ﷺ وأنه مرسل من عند الله ، في هذه المدة الطويلة عشر سنين قبل أن تفرض الصلاة وقبل أ ن تفرض أي عبادة من العبادات وماذلكم إلا لأهمية شأن العقيدة وعلم توحيد رب العالمين الذي كلف الله تبارك وتعالى به عالم الإنس والجن بادئ ذي بدء قبل أن يكلفهم بأي عبادة أخرى ،ولاشك أن أزكى العبادات بعد التوحيد هي الصلاة ولكن تأخرت فرضيتها لأهمية شأن عقيدة التوحيد وفهمها . وكان يستجيب لدعوة النبي ﷺ الأفراد

---

(١) سورة فاطر آية [٨].

والجماعات من الرجال والصبيان والنساء والأحرار والعبيد على بطء ولكنه ماكان يستعجل وإنما يدعو بدعوة متواصلة صابراً محتسباً حكيماً لين الجانب كما أمره ربه تبارك وتعالى أن يخاطب الخلق وأن يصبر على أذاهم وأن يتحمل كل شئ في سبيل دعوته الكريمة التي فيها انتشال لعالم الجن والإنس من موجبات الغضب إلى موجبات الرضا والجنة لمن أطاع الله ولمن تابع الرسول عليه الصلاة والسلام واستجاب لدعوته.

ولما آمن مع النبي ﷺ مايقرب من سبعين رجلاً وامرأة وكانوا يُؤذون لأن هذا العدد بالنسبة للباقين على الشرك عدد ضئيل، فلما لحقهم صنوف من الأذى أمرهم النبي ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة ليقيموا شعائر الدين بدون أذى فهاجروا إلى الحبشة لأن فيها النجاشي وهو كما قال النبي ﷺ (فيها ملكٌ لايظلم الناس عنده) [١] إلا أنه لاحقهم كفار قريش إلى هناك حسداً وبغياً وحقداً على الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى أصحابه ليستأصلوهم

(١) أخرجه أبو نعيم ١ / ١١٥ من حديث أم سلمة، وفي سنن البيهقي الكبرى في كتاب السير باب الإذن بالهجرة ٩ / ١٦ [١٧٧٣٤]، والطبراني في الكبير ٢ / ١١١ [١٤٧٩] والهيثمي في مجمع الزوائد كتاب المغازي والسير باب الهجرة إلى الحبشة ٦ / ٢٤ ـ ٢٧ [٩٨٤٢] وقال عنه (ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع)، وانظر البداية والنهاية ٣ / ٦٤ باب هجرة أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى أرض الحبشة، والسيرة النبوية ذكر المهاجرة الأولى إلى أرض الحبشة ١ / ٢١٤. وصفة الصفوة ذكر أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة ١ / ١١٥.

وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس [١]

لتبقى لهم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وغيرها من الأصنام والأوثان التي تعبد بالباطل وترجى.

ولكن الله عز وجل ربى هذه الطائفة المؤمنة ودافع عنها رغم ما أصابها من بلاء وجهد فكانت الهجرة إلى الحبشة مرتين وكانت الهجرة الثالثة إلى المدينة التي ارتفعت فيها راية الإسلام بفضل الله عز وجل ثم بجهود الأنصار والمهاجرين الذين نصروا الله ورسوله فنصرهم الله على كل عدو داخلي وخارجي.

[١] (وبعد العشر السنين عرج بالنبي ﷺ إلى السماء. وصفة الإسراء والمعراج جاءت في القرآن الكريم [١] وجاءت في صحيح السنة المطهرة [٢] وذلك أن النبي ﷺ كان في الحجر ذات ليلة فأتته الملائكة وشقت صدره من ثغرته إلى سرته واستخرجوا قلبه وحشوه حكمة وإيماناً ثم أسري به على البراق ـ دابة تضع حافرها عند منتهى طرفها ـ إلى بيت المقدس ولما وصل بيت المقدس جمع الله له رسله وأنبياءه فصلى بهم إماماً وكيفية ذلك من أمور

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى قوله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ سورة الإسراء آية [١].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ١ / ١٣٢ [٣٤٩]، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ١ / ١١٤٨ [١٦٣] [١٦٤].

الغيب التي لاينبغي السؤال عن كيفيتها وأمة الإسلام أمة تؤمن بالغيب، فصلى بهم حقيقة ليظهر فضل النبي ﷺ على جميع الرسل والأنبياء.

وعرج به إلى السماء في المرقاة التي يعرج فيها الأنبياء، والحديث معلوم ومشهور وذلك أن جبريل كان يرافقه ولماوصلا إلى السماء الدنيا استفتح جبريل ممايدل على أن السماوات محروسة وأن لها أبواباً وأنها مملوءة من خلق الله من ملائكته الكرام وغيرهم ممن جاء ذكرهم في شريعة الإسلام فلما استفتح السماء الدنيا وسئل من معك قال محمد، قالوا: وقد أوحي إليه؟ قال نعم، قالوا: مرحباً بالنبي الصالح وهكذا كان رقيهما من سماء إلى سماء ويسلم على من فيها من الرسل والأنبياء حتى انتهى إلى السماء السابعة وفرضت عليه الصلوات في تلك الليلة خمسين صلاة فمرَّ على موسى عليه السلام وقال له ماذا فرض عليك ربك يامحمد؟ قال خمسين صلاة، قال إن أمتك لاتستطيع ذلك ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فرجع النبي ﷺ إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فكان يرجع بين موسى وبين ربه ويضع عنه عشراً عشراً حتى استقرت خمس صلوات فقال الله تبارك وتعالى أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي هُنَّ خمسٌ وهُنَّ خمسون

وصلى في مكة ثلاث سنين[١]

لايبدل القول لدي، خمسٌ في العدد وخمسون في الأجر لأن الله قال ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾.[١]

وأصبح في مكة بين ظهرانيهم، وظهر الخبر وأخبرهم النبي ﷺ فكذبته الكثرة الكاثرة حتى أتوا إلى أبي بكر وقالوا له أتصدقه قال كيف لا أصدقه وخبر السماء يأتيه صباحاً ومساءً، فسمي أبوبكر بالصديق لأنه لم يتلعثم ولم يتوقف ولم يقل إلا بالحق والحكمة.[٢]

[١] ثم بعد العشر التي كانت خاصة بدعوة التوحيد ومحاربة الشرك بالله عز وجل وهو ماكانوا عليه من عبادة الأصنام والأوثان،جلس النبي ﷺ ثلاث سنين بعدها يصلي في مكة بعد أن بين له جبريل مواقيت الصلاة كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ بأنه صلى به جبريل في أول الوقت وفي آخر الوقت ماعدا المغرب وقال له الصلاة بين هذين الوقتين.[٣]

(١) سورة الأنعام آية [١٦٠].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ماجاء في قوله عز وجل ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ ٤ / ٤٠٧ [٧٥١٧]، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ١ / ١٤٥ [٢٥٩]. وانظر البداية والنهاية فصل: الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ٣ / ١١١، والسيرة النبوية أمر الإسراء والمعراج ١ / ٢٦٧.

(٣) يشير الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي رواه جابر بن عبدالله (أن جبريل أتى النبي ﷺ ليعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى الظهر حين زالت الشمس وأتاه حين =

وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة.[١]

---

[١] وبعد إكمال المدة ثلاثة عشر سنة أُمر النبي ﷺ بالهجرة فهاجر إلى المدينة وكان قد أتاه قبل ذلك وفد من المدينة واعدهم عند العقبة في موسم الحج وعلمهم النبي ﷺ شرائع الإسلام وءآمنوا به وصدقوا ورجعوا إلى أهليهم ينشرون دعوة الإسلام وينتظرون قدوم النبي ﷺ ، فقدم عليهم بعد هذه المدة.[١] وكانت الهجرة من أعظم أبواب الخير التي فتحت للعالم لأن أصحاب النبي ﷺ كثر عددهم وانتشروا دعاة ونزلت آيات الجهاد لمن يقف

= كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى المغرب ثم أتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى العشاء ثم أتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى الغداة ثم أتاه اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع مثل ماصنع بالأمس فصلى الظهر ثم أتاه حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالأمس فصلى المغرب فنمنا ثم قمنا ثم نمنا ثم قمنا فأتاه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العشاء ثم قال : مابين هاتين الصلاتين وقت) . رواه النسائي في كتاب مواقيت الصلاة باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر جابر بن عبد الله في آخر وقت المغرب ١ / ٤٦٩ [١٥٠٧] و [١٥٠٨] وقال أبو عيسى محمد الترمذي : أصح شئ في المواقيت حديث جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ ١ / ٢٨٢ الجامع الصحيح ، والحاكم في المستدرك كتاب الصلاة باب في مواقيت الصلاة ١ / ٣١٠ [٧٠٤] وقال عنه : (هذا حديث صحيح مشهور من حديث عبدالله بن المبارك والشيخان لم يخرجاه لعله حديث الحسين بن علي الأصغر) ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة باب وقت المغرب ١ / ٥٤١ [١٧١٩] و [١٧٢٠] . وانظر البداية ٣ / ١١٥ .

(١) انظر البداية ٣ / ١٧٥ . والسيرة النبوية ابتداء هجرة النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ١ / ٣٣٥ ، وصفة الصفوة باب ذكر هجرة رسول الله إلى المدينة ١ / ٢١٥ .

والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة والدليل قوله تعالى ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾[١]

في وجه الدعوة ويصد عن السبيل، أمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام ومن معه بمجاهدتهم فعقدت الألوية والرايات وجمعت الجيوش وتمت الغزوات المتتابعة وكان النصر حليفاً لهم، وإن أديل عليهم فإنهم يصبرون ويحتسبون ذلك.

[١] ولايردهم ذلك عن مواصلة السير في الجهاد والدعوة إلى الإسلام، فأصبحت الهجرة فريضة من الفرائض التي كلف الله سبحانه وتعالى بها من أسلم وهو في ديار الكفر بل ذم الذين يتخلفون بين أظهر الكفار بحيث لايستطيعون إظهار شعائر الإسلام ذمهم الله تبارك وتعالى لحرصهم على أوطانهم وأموالهم حيث قال ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾[١].

---

(١) سورة النساء الآيتان [٩٧، ٩٨]

فهؤلاء قوم عذرهم الله تبارك وتعالى لأنهم غير قادرين على الهجرة، إما لأنهم يخافون على أنفسهم من أئمة الكفر أو لأنهم لاقدرة لديهم تمكنهم من الوصول إلى المدينة.

وبقى حكم الهجرة ثابت إلى يوم القيامة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام وديار الكفر هي التي يعبد فيها غير الله عز وجل ويحكم فيها بغير شرعه، ولايستطيع المسلم أن يقيم شعائر الإسلام فيها، هذه بلدة كفر يغزى أهلها ويجاهد أهلها، فإذا هزموا وتغلب الجيش الإسلامي عليهم أخذوا أموالهم وسبوا نسائهم وذراريهم واسترقوا رقاب أهلها.

وبلاد الإسلام هي التي يحكم فيها بشرع الله عز وجل وتقام فيها شعائر الدين وفي مقدمتها توحيد رب العالمين وقمع الشرك والمشركين ولو حصلت فيها معاصي ولو وجد فيها أفراد كفار فهي بلد إسلام مادام الحكم فيها لشرع الله وطهرت من المعبودات الباطلة وارتفعت فيها راية التوحيد وقامت فيها شعائر الدين وبنيت فيها بيوت الله الطاهرة فهي بلدة الإسلام على أي حال تكون.

إذن من كان في ديار الكفر وهو مسلم وجب عليه أن يهاجر إلى بلاد الإسلام إلا أن يكون معذوراً ممن عذرهم الله من الضعفاء ومن النساء

والولدان فهؤلاء إذا لم يستطيعوا الهجرة فقد عذرهم الله تبارك وتعالى ووعدهم بمغفرته. أما من يستطيع الهجرة ولم تحبسه إلا مصالحه كالأموال والأولاد ومسقط الرأس الوطن فهذا محجوج وقد ظلم نفسه ولا ينتظر إلا ماقال الله ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ﴾ الآية وهذا توبيخ من الملائكة بأمر الله لهذا الصنف الذين يستطيعون أن يخرجوا من ديار الكفر ولكنهم لم يخرجوا.

وهنا مسائل تتعلق بهذا البحث منها:

تحريم السفر إلى بلاد أهل الكفر بدون حاجة ملزمة واختيار المكث فيها كذلك وزيادة في الشر عندما يختار الإنسان بلاد الكفر وبجانب ذلك يطعن في بلاد الإسلام، هذا أجهل الناس وأبعد الناس عن معرفة الحق، وكأنه أعمى ماتبين له سبيل الحق من سبل الباطل فالفرار إنما يكون من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام مهما كان حالها، لأن النبي ﷺ قد حذر من مجامعة المشركين والركون إليهم والسكنى معهم اللهم إلا من ألجأته ضرورة من الضرورات، أما من ذهب ليدعوا إلى الإسلام وقد تحصن بالعلوم الشرعية والأسباب التي تحول بينه وبين الوقوع في الرذيلة أو الإنحراف في مبادئ القوم فيكون هذا مثله كمثل الغازي يغزوهم بدعوة الخير ثم يعود إلى وطنه

وقوله تعالى ﴿ ياعبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإياي فاْعبدون ﴾[١] قال البغوي رحمه الله تعالى سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان. والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ (لاتنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولاتنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)[٢].

الغزو لاسيما إذا كانت هذه الأعمال تنظمها دولة إسلامية. وقد تكون هناك ضرورات تلجأ إلى الذهاب إلى بلد الكفار إما للعلاج وإما لتعلم علم تحتاجه الأمة المسلمة ولا يوجد في بلادها وديارها وإما ليمثل دولة الإسلام في أمور دولية لاغنى عنها فهذه من الأمور التي تستثنى ولكن لايذهب إلا من كان صاحب حصانة بالعلوم الشرعية والتقوى والإيمان والخوف من الله تبارك وتعالى، أما بدون ذلك فلا تطمئن النفوس إلا في بلد الإسلام وديار الإسلام ليأمن الإنسان على نفسه وعلى دينه وعلى ماله وعلى دمه، وليعبد الله تبارك وتعالى وهو قرير العين لايخاف شيئاً من أسباب الانحراف ولامن التعدي ولا من السخرية بالدين كما يفعله الكفار بأهل الإسلام غالباً إذا تمكنوا من ذلك.

[١] والدليل على أن حكم الهجرة باقٍ ماذكره الله عز وجل في القرآن في قوله ﴿ ياعبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾[١] أي واسعة فلابد من الإنتقال من الضيق إلى السعة وبلاد الضيق هي بلاد الكفر وبلاد السعة هي بلاد الإسلام.

[٢] وقول النبي ﷺ (لاتنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولاتنقطع التوبة

(١) سورة العنكبوت آية [٥٦].

حتى تطلع الشمس من مغربها)[١] وهذا دليل على امتدادها وبقائها متى وجد سببها وانتفت موانعها.

غير أن من بقوا وهم مسلمون في ديار الكفر بدون عذر شرعي لايحكم عليهم بالكفر ولكنهم وقعوا في كبيرة من كبائر الذنوب، اللهم إلا إذا أتوا بالأسباب التي تنقلهم من إسلامهم إلى الكفر والعياذ بالله، كأن يفضلوا معاملة الكفار على معاملة الإسلام والمسلمين، أو يروا بأن أنسهم وحياتهم الطيبة المباركة إنما هي في بلاد الكفر وحياة الشؤم في بلاد الإسلام فهذا والعياذ بالله بُعد عن الله وانحراف عظيم ومصيبة عظمى وسبب ذلك كله الجهل بالإسلام وجلالة قدوصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في الهجرة هل انقطعت ٣/٣ (٢٤٧٩) وأحمد ١/١٩٢، ٤/٩٩.

والحديث صحيح أنظر إرواء الغليل ٥/٣٣ (١٢٠٨).

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصلاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه [١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أمابعد :

فقد مضى معنا في الدرس الثاني عشر أن النبي ﷺ نبئ بإقرأ حيث أنزل الله عليه صدر سورتها إلى قوله ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ وأرسل بالمدثر لما أنزل الله عز وجل عليه قوله تبارك وتعالى ﴿ياأيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى قوله ﴿والرجز فاهجر ولاتمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾ وعرفنا ماتيسر من المعاني المتعلقة بذاك الدرس كما عرفنا حكم الهجرة وأنها فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وأنها باقية إلى أن تقوم الساعة وأن من كان في بلد الكفر وهو من أهل الإسلام لايعذر بالبقاء في بلد الكفر إلا إذا كان من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً.

وعرفنا أن حكمها باق وأنها لاتنقطع حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

[١] ثم واصل المؤلف رحمه الله في بيان شرح حياة النبي ﷺ بعد الهجرة إذ أن الله أذنَ له بعد قضية الإسراء والمعراج، أَذنَ الله لنبيه عليه الصلاة والسلام في الهجرة لأن الكفار كانوا يريدون القضاء عليه وعلى هذه

الدعوة المباركة دعوة التوحيد الحق في بدايتها، ولكن الله عز وجل قضى لنبيه بالهجرة فأمره بها فهاجر إلى المدينة وكان بصحبته الصديق أبوبكر رضي الله عنه، وكان أهل المدينة من الأنصار الكرام الذين أثنى الله عليهم في محكم القرآن، كانوا ينتظرون قدوم النبي ﷺ كل يوم فرحين مستبشرين فلما قدم النبي ﷺ المدينة واستقر بها أمر ببقية شرائع الإسلام، وكانت الصلاة قد فرضت ركعتين ركعتين في مكة فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر فكان يصليها في المدينة أربعاً أربعاً إلا المغرب فتصلى ثلاثاً وإلا الصبح فتصلى ركعتين. ثم أنزل الله عز وجل بقية الفرائض في المدينة خلال عشر سنين والقرآن المدني ينزل على النبي ﷺ منه ماهو أحكام في بيان الحلال والحرام، ومنه ماهو إجابات على أسئلة و منه ماهو قصص وأمثال لتأخذ منها الأمة العبرة والعظة إلى غير ذلك من أحكام الله التي كُلِّفَ بها المكلفون من زكاة وصوم وحج وأذان وجهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ودعوة إلى الله عز وجل علناً لأن وقت السرية قد ذهب أخذ على ذلك عشر سنين والآيات تتنزل والنبي ﷺ يبلغهاويفسرها للناس وهم أوعية العلم يحفظونها حفظاً جيداً ويبلغونها إلى أهل الأرض في الآفاق حتى أتى التابعون وأخذوا عنهم العلم وكان منهم العلماء الربانيون الذين بلغوا

من بعدهم، وهكذا يبلغ هذا العلم ويؤخذ جيلاً بعد جيل حتى يأتي اليوم الذي يرفع من الأرض بموت أهله، ولما حج النبي ﷺ حجة الوداع وبين للناس في حجة الوداع مايحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم، خطبهم خطباً عظيمة جامعة ومنها خطبة يوم عرفة التي بين فيها أحكاماً كثيرة لا تدخل تحت العد والحصر في هذا المقام، ومن ذلك أنه أعلم الأمة بأن دماءهم وأموالهم وأعراضهم حرام عليهم، وبين لهم بأن الربا كله موضوع ولايجوز التعامل به بعد ذلك، وأشهد الله على الجمع بأنه بلغهم الرسالة وأوضح لهم معالم الحق وأنه لم يبق شئ يحتاجون إليه إلا بينه لهم وأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك آيات بينات تعتبر من آخر آيات القرآن نزولاً، منها قول الله تبارك وتعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾.[١]

ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾[٢] فقد أتت هذه السورة الكريمة تشير إلى قرب وفاة النبي ﷺ كما فهم ذلك

(١) سورة المائدة آية [٣].

(٢) سورة النصر.

هو وفهم ذلك ابن عباس وغيره سبب نزولها [١] وآخر آية نزلت على النبي ﷺ ولم ينزل بعدها شئ على قول جمهور المفسرين قول الله تبارك وتعالى ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون ﴾ من سورة البقرة [٢] وقال لهم النبي ﷺ (اجعلوها بين آية الدين وآية الربا) [٣] ولما أكمل الله الدين وأتم النعمة ولم يبق شئ تحتاج البشرية إلى علمه وفهمه أتى النبي ﷺ الأجل المحتوم، لأن الله قضى بالموت على المخلوقات ويدخل في ذلك الرسل والأنبياء والملائكة وسائر المخلوقات ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ [٤]. إلا من ثبت استثناؤهم بنص.

وأخبر الله نبيه ﷺ في قوله ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة

(١) كما أخرج البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم فأدخله معهم فمارأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ماتقولون في قول الله تعالى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذلك تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾. فقال عمر: ماأعلم منها إلا ماتقول) كتاب تفسير القرآن باب قوله ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ ٣ / ٣٣٢ [٤٩٧٠].

(٢) آية ٢٨١.

(٣) انظر فتح الباري ٩ / ٦٦ [٤٥٤٤] والجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٤٢ والتفسير المنير ٣ / ٩١.

(٤) جزء من آية في سورة الرعد آية [٣٨].

عند ربكم تختصمون ﴾[١].

وأخبر بذلك في قوله ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾[٢].

وهكذا أخبر الله عز وجل عن ذلك في قوله ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإين مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾[٣].

فمرض النبي ﷺ في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول إلى اليوم الثاني عشر من ربيع الأول أو الثالث عشر وتوفي النبي ﷺوكانت وفاته من أعظم المصائب التي عمت الأرض طولها والعرض وأثرت على أصحابه تأثيراً بالغاً حتى إن بعضهم لم يصدق بأن رسول الله ﷺ قد مات ومنهم عمر رضي الله عنه، حتى أتى أبوبكر وكان رجلاً مسدداً وموفقاً في مواطن الكروب والأزمات، فدخل على النبي ﷺ فقبّله وقال قولته التي حفظتها وثائق التأريخ ((طبت حياً وميتاً)) وخرج إلى الناس وهم مضطربون فقال

(١) سورة الزمر الآيتان [٣٠، ٣١].

(٢) سورة آل عمران آية [١٤٤].

(٣) سورة الأنبياء الآيتان [٣٤، ٣٥].

((أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت))[١]. فزال عنهم الاضطراب وأيقنوا أن سنة الله في مخلوقاته أن يقضى عليها بالموت وما هو إلا انتقال من الحياة الدنيوية إلى الحياة البرزخية وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى في آخر سورة الواقعة بأقسام الخلق عند الموت حيث قال سبحانه ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذٍ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾[٢].

وهذا التقسيم للخليقة كلها بعد الموت، قسمهم الله إلى هذه الأقسام الثلاثة إلى مقربين وأصحاب يمين وأصحاب شمال وهم المكذبون الذين كذبوا بما يجب التصديق به من شرع الله الذي أتى به رسل الله وأنبياؤه وأقامه ودعا إليه أتباعهم وورثتهم. ولما كان اجتماع الكلمة على سلطان وعلى إمام أمر من أهم الأمور لما في ذلك من نفي الفوضى وحقن الدماء وحفظ الأموال

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه ١ / ٣٨٤ [١٢٤١، ١٢٤٢]، وابن ماجه في كتاب الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ ١ / ٥٢٠ [١٦٢٧].

(٢) من آية [٨٣] إلى نهاية سورة الواقعة.

ودينه باق وهذا دينه: لاخير إلا دل الأمة عليه ولاشر إلا حذرها منه والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع مايحبه الله ويرضاه والشر الذي حذرها منه: الشرك وجميع مايكرهه الله ويأباه بعثه الله إلى الناس كافه.[١]

والأعراض وأمن الناس من أجل أن يؤدوا شعائر الإسلام وهم ءامنون مطمئنون بقي النبي ﷺ لم يدفن في وقت وفاته بل بقي إلى أن تمت البيعة لأبي بكر واجتمع الناس وأجمعوا على خلافته فدفن النبي ﷺ ليلة الأربعاء وقد توفي يوم الاثنين، وماهو إلا انتقال من حياة الهم والغم والتعب والنصب إلى الحياة الطيبة المباركة في الرفيق الأعلى في أعلى الجنان كما ثبت أن النبي ﷺ لما شخص ببصره إلى السماء قال ((اللهم الرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى))[١]. وأوصى قبل موته بالصلاة وما ملكت الأيمان[٢] لأهمية شأن الصلاة في الإسلام وأكرم الله عز وجل الأمة بعد وفاته بخلافة الصديق التي مشى فيها على النهج الذي كان النبي ﷺ يسوس الأمة به وهو كتاب الله وسنة النبي ﷺ لايزيد على ذلك ولا ينقص.

[١] وقد بين المؤلف رحمه الله بأن دين النبي ﷺ باقٍ وأنه لم يتغير شئ بالنسبة للتكاليف الشرعية على اختلاف أنواعها والأحكام المرعية فقال المؤلف (وهذا دينه) يعني دينه بين أيدينا وبين أظهرنا كامل كما وصفه الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب دعاء النبي ﷺ: اللهم الرفيق الأعلى ٤ / ١٦٢ [٦٣٤٨]، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها ٤ / ١٨٩٤ [٨٧].

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الوصايا باب هل أوصى رسول الله ﷺ ٢ / ٩٠٠ [٢٦٩٧]. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢ / ١٠٩ [٢١٨٤].

وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس والدليل قوله تعالى ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[١].

وهذا الدين مامن خير إلا ودل عليه وما من شر إلا وحذر منه وأساس الخير توحيد الله تبارك وتعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ومكملات ذلك بالتقرب إلى الله بكل مايحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة والبعد كل البعد من كل مايبغضه الله ويأباه من شر الأقوال والأفعال والأعمال والمعتقدات فهذا دين الله تبارك وتعالى الذي ارتضاه لأمة محمد ﷺ ، لأن رسالة النبي ﷺ عامة وشاملة وليس كغيره ممن سبقه من الأنبياء والمرسلين الذين كانوا يرسلون إلى أقوامهم خاصة.

[١] وهذا العموم والشمول دل عليه قول الله عز وجل ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لاإله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[١] كما دل عليه قول الله عز وجل ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[٢] وقال النبي ﷺ في بيان عموم رسالته (وبعث كل نبي إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[٣]. وقوله ﷺ (والله

---

(١) سورة الأعراف آية [١٥٨]. (٢) سورة سبأ آية [٢٨].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ / ٦٤٥ [٢٧٤٢]، والبخاري في كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ١ / ١٨٥ [٤٣٨] ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١ / ٣٧٠ [٥٢١].

وكمل الله به الدين والدليل قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[١] والدليل على موته ﷺ قوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾[٢] والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[٣].

لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار)[١]. الحديث.

[١] وقد أورد المؤلف رحمه الله الآيات الدالة على عموم الرسالة وشمولها وعلى كمال هذا الدين كما رأيت وبقول الله عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

[٢] وأورد الدليل على موت النبي ﷺ وأنه سنة الله في خلقه التي لاتتخلف حيث قال الله عز وجل خطاباً لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾[٢].

[٣] وأورد الأدلة القرآنية التي تدل على أن الناس إذا ماتوا يبعثون من قبورهم كقول الله عز وجل ﴿منها خلقناكم﴾[٣] الآية. وهو خطاب للأمة كلها والضمير في منها يعود إلى الأرض وهو معروف من السياق ﴿منها خلقناكم﴾ أي بخلق أبيكم آدم من تراب ﴿وفيها نعيدكم﴾ بعد الموت في

---

(١) سبق تخريجه ص ٧.

(٢) سورة الزمر الآيتان [٣٠، ٣١].

(٣) سورة طه آية [٥٥].

وقوله تعالى ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾[١] وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم والدليل قوله تعالى ﴿ ولله مافي السماوات ومافي الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾.[٢]

قبوركم ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ للبعث والجزاء على الأعمال.

[١] وهكذا قال الله تبارك وتعالى مؤكداً هذا المعنى بآية أخرى ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾ وهي[١] كقوله ﴿ منها خلقناكم ﴾، ثم قال ﴿ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾.[١]

[٢].وأخبر الله تبارك وتعالى بأن العباد بعد البعث محاسبون ومجزيون على أعمالهم خيرها وشرها كما قال عز وجل ﴿ و لله مافي السماوات ومافي الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾.[٢]

وهكذا قال الله تبارك وتعالى ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾.[٣]

ومثلهما قول الله تبارك وتعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾.[٤]

(١) سورة نوح آية [١٧]

(٢) سورة النجم آية [٣١]

(٣) سورة فصلت آية [٤٦].

(٤) سورة الزلزلة الآيتان [٧،٨].

ومن كذب بالبعث كفر والدليل قوله تعالى ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾[١]

---

[١] وأخبر سبحانه بأن إنكار الكفار للبعث والجزاء على الأعمال افتراء منهم على الله وتكذيب بما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام وأن ذلك زعم باطل بيّن الله بطلانه في قوله ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم وذلك على الله يسير ﴾[١]

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) سورة التغابن آية [٧].

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾[١].وأولهم نوح عليه السلام[٢]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مضى معنا في الدرس الماضي بيان أن دين الله عز وجل باقٍ بعد وفاة النبي ﷺ مابقيت الدنيا وأنه مامن خير إلا دل الأمة عليه ولاشر إلا حذرها منه، وأساس الخير توحيد الله تبارك وتعالى، وأصل الشر عبادة غير الله أو عبادة غيره معه وهو الشرك بالله عز وجل، وكل معصية عصي الله بها فهي شر، وكل طاعة تركت بدون عذر فتركها شر كذلك، كما مضى معنا الأدلة القائمة على عموم وشمول بعثة النبي ﷺ لعالم الإنس وعالم الجن بدليل قول الله تعالى ﴿ قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ وبرسالة النبي ﷺ ختمت الرسالات، كما مضى معنا الأدلة على ثبوت موت النبي ﷺ وأن الناس يموتون ثم يبعثون ويجزون على أعمالهم خيرها وشرها.

وموضوع هذا الدرس هو (إثبات رسالة المرسلين) حيث قال المؤلف رحمه الله:

[١] (وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين) والرسل جمع رسول والرسول: رجل حر مكلف من بني ءادم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه.

[٢] وأول الرسل نوح عليه السلام وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن الناس من لدن ءادم إلى نوح عشرة قرون على الحنيفية السمحة على

التوحيد حتى نشأ الشرك في قوم نوح فأرسل الله إليهم نوحاً) [١] فهو أول رسول أرسله الله تبارك وتعالى لينذر قومه خطر الشرك ويبين لهم معالم التوحيد ومكث في قومه مدة طويلة وهو يدعوهم إلى الله تبارك وتعالى، رغم ماواجه من الصعوبات والعقبات ومن الإعراض عن دعوته الكريمة الرحيمة ومع ذلك فكان يدعوا إلى الله كما وصف الله دعوته في آيات بينات منها قول الله عز وجل ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال ياقوم إني لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون * قال رب أني دعوت قومي ليلاً ونهاراً* فلم يزدهم دعاءي إلا فراراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً* ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ [٢] إلى آخر السورة الختيمت بما أمره الله تبارك وتعالى به من الدعوة على أولئك القوم الذين لم يزدادوا إلا طغياناً وإعراضاً عن دعوة نوح عليه السلام وإيذاءً لشخصه

(١) أخرجه البخاري انظر فتح الباري ٩ / ٦٦٩ [٤٩٢٠]، والطبري ١٩ / ٢٥٤ وإغاثةاللهفان ص ١٩٠، ومجموع الفتاوى ١٤ / ٣٦٣.

(٢) سورة نوح الآيات [١ ـ ٩].

وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين [١]

الكريم، فدعا عليهم كما قص الله عز وجل ذلك بقوله ﴿وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ [١].

وكان الحامل له على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد قال له ﴿إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ [٢].

ثم خوفه على العصبة المؤمنة القليلة التي ءامنت بدعوته، الذين قال الله عز وجل عنهم ﴿وما ءامن معه إلا قليل﴾ [٣].

[١] وآخر الرسل والأنبياء محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً﴾ [٤]

وبين أولهم وآخرهم رسل كرام وأنبياء عظام ودعاة من أمة الإسلام يدعون بدعوة الرسل والأنبياء لئلا يكون للناس حجة بعد قيام الحجة عليهم.

وبين الله تبارك وتعالى في هذه الآية ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [٥] بين فيها شيئين مهمين:

---

(١) سورة نوح آية [٢٧].

(٢) سورة هود آية [٣٦].

(٣) سورة هود آية [٤٠].

(٤) سورة الأحزاب آية [٤٠].

(٥) سورة النساء آية [١٦٥]

الشئ الأول : تحديد وظيفة الرسل والأنبياء وأنها محصورة في البشارة والنذارة أما البشارة فهي لأتباعهم الذين استجابوا لدعوتهم وءامنوا برسالاتهم ، وأما النذارة فهي لأعداء الله وأعداء رسله وأعداء عباده المؤمنين ممن أعرض عن رسالات الرسل ودعوة الأنبياء ونصيحة الناصحين .

وأما الشئ الثاني : فلإقامة الحجة على من بلغته الحجة ،والحجة هي إرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم ليبينوا للناس ماأنزل الله تبارك وتعالى عليهم من كتاب وحكمة ، إذ أن الرسالات التي أتى بها المرسلون ، إذا بينت للناس ودُعي الناس إليها قامت على الناس الحجة فمن استجاب لدعوة المرسلين فهو من أتباعهم حقاً ومن أولياء الله ومن أعرض عن دعوة المرسلين فقد عرّض نفسه لأعظم الخطر وأشد الوعيد ويصدق عليه قول الله عز وجل ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [١] كما يصدق عليه قول الله عز وجل ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ [٢] .

(١) سورة طه آية [١٢٤] .

(٢) سورة الزخرف الآيتان [٣٦، ٣٧] .

والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾[١]. وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت[٢].

---

[١] والأدلة قائمة على أن أول الرسل نوح عليه السلام في الكتاب والسنة ومنها قول الله تبارك وتعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾[١] إلى آخر الآيات من سورة النساء.

[٢] ومامن أمة من أمم الأرض إلا وخلا فيها نذير كما قال الله عز وجل ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[٢].

والله تبارك وتعالى أحكم الحاكمين وهو أرحم الراحمين لايعذب أمة من الأمم حتى يقيم عليها الحجة الرسالية كما في قول الله عز وجل ﴿وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾[٣]. وماكان من فترات بين رسول ورسول تطول مدتها أو تقصر إلا ويبعث الله تبارك وتعالى من أتباع الرسل وأهل التأسي بهم في الدعوة والتبليغ للرسالة أفرادٌ من الناس فإن لم تصل إلى بعض الناس دعوة الرسل من رسول أو نبي أو من يدعوا بدعوة الرسل والأنبياء فهذا يعتبر من أهل الفترة، وأهل الفترة ومن في حكمهم لهم يوم القيامة معاملةجاءت بها النصوص من أنهم يمتحنون في عرصات القيامة فالمطيع في الجنة

---

(١) سورة النساء آية [١٦٣].

(٢) سورة فاطر آية [٢٤].

(٣) سورة الإسراء آية [١٥].

والعاصي في النار،ومنها مارواه الإمام أحمد وغيره من حديث الأسود بن سريع[١] أن النبي ﷺ قال: (أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لايسمع ورجل هرم و رجل أحمق ورجل مات في الفترة، أما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر ،وأما الهرم فيقول يارب لقد جاء الإسلام وماأعقل، وأما الذي في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً) ولهذا الحديث طرق وشواهد يكون بها من قسم المقبول كما قرر ذلك ابن القيم رحمه الله في كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين.[٢] وكل رسول من الرسل وكل نبي من الأنبياء يبدأ دعوته وينادي قومه إلى توحيد الله وترك الشرك والبراءة منه ومن أهله ولهذا تجد في الآيات القرآنية التي قص الله فيها دعوة الرسل والأنبياء أن كل واحد منهم يقول لقومه ﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾[٣] وهو أمر بعبادة الله وحده ونهيٌ عن الإشراك بالله عز وجل.

(١) الأسود بن سريع، بفتح السين، التميمي السعدي، صحابي نزل البصرة ، ومات في أيام الجمل، وقيل: سنة اثنتين وأربعين. التقريب ١ / ١٠١ [٥٠١].

(٢) ص ٣٩٧.

(٣) سورة الأعراف الآيات [٦٥، ٧٣، ٨٥] وسورة هود الآيات [٥٠، ٦١، ٨٤] وسورة المؤمنون آية [٢٣] وسورة العنكبوت آية [٣٦].

والدليل قوله تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [١] وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله. قال ابن القيم رحمه الله: (الطاغوت) ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. [٢]

---

[١] وقد بينّ الله عز وجل ذلك بياناً عاماً في قوله ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [١] وكل من أدوات العموم، ثم بينّ دعوة الرسول التي يبدأ بها قومه فقال ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ يأمرهم بعبادة الله وحده لأنه المستحق لذلك ويحذرهم من عباذة الطاغوت التي هي عبادة غير الله عز وجل أو عبادة غيره معه. وهذه الجملة ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ هي معنى لاإله إلا الله ولايتم توحيد عبد وإيمانه حتى يضيف إلى الإيمان بالله الكفر بالطاغوت ولذا قال الله عز وجل ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها ﴾ [٢].

[٢]وذكر ابن القيم رحمه الله معنى الطاغوت، وقد اختلف العلماء رحمهم الله في معنى هذه الكلمة فمنهم من يفسر الطاغوت بالشيطان ومنهم من يفسره بالساحر أو الكاهن [٣] وتفسير ابن القيم له أعم وأشمل حيث قال رحمه الله: معنى الطاغوت ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

(١) سورة النحل آية [٣٦].

(٢) سورة البقرة آية [٢٥٦].

(٣) كما ورد ذلك عن عكرمة وأبي العالية ومجاهد ومالك بن أنس. انظر الدر المنثور ١ / ٥٨٤.

والطواغيت كثيرون رءوسهم خمسة : إبليس لعنه الله [١]

فهذا يعتبر تجاوز بمعنى أنه ترك عبادة الله وتجاوزها إلى الحرام وإلى المحظور، من (معبود) من المعبودات الباطلة على اختلاف أنواعها، أو (متبوع) دعى إلى باطل فاتبعه الناس على باطله سواءً كان ذلك المتبوع دعى إلى شرك أو إلى بدعة أو إلى فواحش وكبائر، أو (مطاع) دعى الناس إلى الباطل فأطاعوه. وكل هذه الأمور فيها تجاوز وخروج عن محيط الحق إلى الباطل.

والطاغوت يجمع على طواغيت. وذكر المؤلف رحمه الله رؤوس الطواغيت أي أئمة الطواغيت وقادتهم إلى النار فأولهم:

[١] إبليس لعنه الله: وهو الذي أخرج الأبوين من الجنة بالغرور والمكر والخديعة، واشتهر بذلك وعرف به ونادى الله عز وجل المؤمنين أجمعين وحذرهم من اتباعه كما في قول الله عز وجل ﴿ ياأيها الذين ءامنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [١] فهو يدعوا إلى كل فحشاء وإلى كل منكر، وذكر الله تبارك وتعالى خبره وقصته في يوم القيامة يوم يعلن براءته ممن اتبعه حيث قال الله عز وجل ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا

(١) سورة النور آية [٢١].

ومن عُبد وهو راضٍ [١] ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه [٢]

تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [١] وهذه براءة يعلنها في الوقت الذي لايغني عن نفسه شيئاً ولايغني عن أتباعه كذلك شيئاً من عذاب الله حيث يقول ﴿ ماأنا بمصرخكم ﴾ أي لست بمنقذ لكم ولا مخرج لكم من النار ولستم بمنقذين لي من النار بل الكل فيها كما قال الله عز وجل ﴿ إنا كل فيها ﴾ إخبار عن الأتباع والمتبوعين ﴿ إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [٢].

[١] ومن الطواغيت من عُبد وهو راض، عبده الناس طلبوا منه مالايطلب إلا من الله من دعوة واستغاثة ورجاء جلب مصلحة أو دفع ضرٍ مما لا يقدر عليه إلا الله وهو راضٍ قد جعل نفسه إلهاً فهو طاغوت.

[٢] والثالث : من دعا الناس إلى عبادة نفسه إما بلسان الحال أوبلسان المقال، أي إما أنه قال لهم أنا أملك شيئاً من جلب المنافع ودفع المضار وجلب الخير ودفع السوء وإغاثة الملهوف وتفريج الكربات وإنجاب الولد وإدرار الرزق وما عليكم إلا أن تقربوا القرابين وتتوجهوا إليّ بطلباتكم فهذا دعا الناس إلى عبادة نفسه فهو أعظم جرماً فيعتبر رأساً في دعوة الشيطان

(١) سورة إبراهيم آية [٢٢].

(٢) سورة غافر آية [٤٨].

ومن ادعى شيئاً من علم الغيب [١] ومن حكم بغير ماأنزل الله [٢] والدليل قوله تعالى ﴿ لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم ﴾ وهذا هو معنى لاإله إلا الله.

ومخالفة الرحمن.

[١] والرابع من ادعى شيئاً من علم الغيب بحيث يدّعي بإنه يعلم مافي المستقبل أو يعلم مكان الضالة أو يعلم ماسيكون غداً أو في العام القادم أو في اللحظة القادمة فهو كاذب في ذلك كله وطاغوت من الطواغيت الذين لعنهم الله وأخزاهم وجعلهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون.

[٢] ومن حكم بغير ماأنزل الله وهو القسم الخامس من رؤوس الطواغيت لأن الله عز وجل كلف الخليقة بالحكم بما أنزل الله من كتاب وسنة، فإذا تحاكم الناس إلى غير شرع الله عز وجل واعتبروا ذلك تشريعاً لهم واعتبروه نافعاً وخادماً لمصالحهم واتهموا شرع الله عز وجل بالجور والقسوة أو عدم الملاءمة لزمنهم وأوضاعهم فلا غرابة أن يكونوا من الطواغيت وقد فصل العلماء رحمهم الله القول في الحكم على من حكم بغير ماأنزل الله فقال ابن عباس رضي الله عنهما (قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ قال: من جحد ماأنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق) [١] وهذا لاشك في كفره إذا جحد حكم ماأنزل الله أو رأى أن ماحكم به من أحكام البشر أفضل وأنفع من حكم الله أو رأى أن حكم

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٤ / ٥٩٧ [١٢٠٦٨].

الله وحكم غيره في المنزلة سواء فهذا كفر صريح يخرج من ملة الإسلام بعد إقامة الحجة على القائل به ومثل ذلك من يلغي الشريعة الإسلامية ويعطل أحكامها ومحاكمها ويختار بديلاً عنها القوانين الوضعية بالبشرية مؤثراً لها ومستحسناً راغباً عن شريعة رب العالمين فلا شك في كفره الكفر المخرج من الملة وأما إن حكم حاكم بغير ماأنزل الله مع إيمانه بما أنزل الله وبما جاء به رسول الله ﷺ وهو غير مستحل لذلك وإنما يرى بأنه ارتكب خطأً فهذا يعتبر صاحب كبيرة من كبائر الذنوب أو صاحب كفر عملي كما فصّل ذلك أهل العلم رحمهم الله ،إذن فالآية الكريمة ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [١] ومثلها الآيتان اللتان بعدها ﴿ ومن لم يحكم بماأنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [٢] ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ [٣] ، هذه ينبغي أن يعرف مادلت عليه من الأحكام بالتفصيل وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير كتفسير الإمام ابن جرير وابن كثير وغيرهما من المفسرين ممن هو على منهج السلف وإلى ماأفتى به هيئة كبار العلماء في موضوع ظاهرة الإرجاء [٤] ،وقد ختم المؤلف رحمه الله هذه الأصول الثلاثة التي هي أصول الإسلام بحق :

(١) سورة المائدة آية [٤٤] .   (٢) سورة المائدة آية [٤٥] .

(٣) سورة المائدة آية [٤٧]   (٤) برقم [٢١١٥٤] وتأريخ ٢٤ / ١٠ / ١٤٢٠هـ.

وفي الحديث (رأس الأمر الإسلام [١] وعموده الصلاة [٢] وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) [٣]. والله أعلم.

---

[١] قوله رأس الأمر الإسلام : لأنه أول شئ دعى إليه النبي ﷺ إلى الإسلام الذي هو الاستسلام والخضوع والانقياد لله عز وجل بالطاعة،وللرسول عليه الصلاة والسلام بالمتابعة وفي حديث جبريل سماه النبي ﷺ ديناً ، أول [١] مرتبة من المراتب التي ذكرها النبي ﷺ الإسلام وأركانه ، فلا غرابة أن يكون رأساً في الأمر إذ بالإسلام يعصم الدم ويعصم المال ويُعصم العرض ويكون لصاحبه الحقوق الإسلامية والحقوق الإيمانية.

[٢] وعموده الصلاة وذلك لأهميتها إذ أنها أول فريضة فرضت بعد دعوة النبي ﷺ إلى حقيقة الإسلام والإيمان ، حيث سبق معنا [٢] بأن النبي ﷺ دعا عشر سنين قبل أن يعرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين ركعتين ركعتين حتى قدم المدينة فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر وبعد ذلك تتابعت الفرائض والأحكام.

[٣] وذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله بما تحمل كلمة الجهاد من معنى ، جهاد النفس وجهاد الشيطان والهوى وجهاد الكفار الصرحاء وجهاد المنافقين بالكلمة والبيان وجهاد أهل البدع بإقامة الحجة عليهم وجهاد أهل الكبائر والفواحش حتى يرتدعوا عنها هذه كلها أنواع من الجهاد الذي

---

(١) سبق تخريجه ص ١١٧ .

(٢) في ص [٢٠٥].

عن البال أيضاً أن بذل الجهد في طلب العلم والتوسع فيه والعمل على نشرها بتغاء مرضات الله أنه ضرب من ضروب الجهاد بل قد يكون أنفع وأقوم من الجهاد في المعارك وماذلك إلا لأنه به يتبين الحق من الباطل والخير من الشر والتوحيد من الشرك والسنة من البدعة والهدى من الضلال وحزب الله من حزب الشيطان ولايحصل ذلك إلا بالفقه في الدين ولايبين ذلك إلا العلماء ولايمكن للناس أن يكونوا علماء إلا إذا بذلوا جهودهم في تحصيل العلم بالله وبأمره ،وقد أشار الله عز وجل إلى هذا في قوله تبارك وتعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [١] .إذن فطلب العلم جهاد وأيما جهاد لأن فيه إنقاذاً للنفس من الجهل وحراسة للعقيدة التي لاتحرس إلا بالعلم ولأن في العلم نشراً له لتحيا الأرواح وتحيا القلوب ولايمكن لها ذلك إلا بواسطة العلماء الذين لايمكن أن يحرزوا هذا اللقب إلا إذا بذلوا جهودهم وعكفوا على كتب العلم وعلى أشياخه مدة ليست بالمدة القصيرة وإنما هي مدة طويلة جداً لايكون لها نهاية حتى يأتي اليقين من الله تبارك وتعالى وطالب العلم في طلبه ومستمر في جهاده ابتغاء وجه الله والدار الآخرة والله عز وجل لايضيع أجر من أحسن عملاً .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) سورة التوبة آية [١٢٢]

الفهارس

تصويبات كتاب (طريق الوصول إلى إيضاح الثلاثة الأصول)

الخطا	الصواب	السطر	الصفحة
ورسوله	والرسول	١٢	٢١
الردئ	الردىء	٨	٦٥
للشادح	للشارح	١٩	٨٤ الهامش
فإذا وجد	بحيث يوجد	٨	٢١
فيها	فيهما	٦	١٠٣
المعبودات	العبادات	٧	١٠٧
للعبادة	العبادة	١	١١٥
بنية نهار رمضان	بنية صيام نهار رمضان	٣	١٢٣
فما أمر	فما من أمر	٨	١٣٠
العبادة	العبادات	١٢	١٣٣
بها	بهم	٨	١٨٦
بالدعاة	بالدعوة	١١	١٨٦
القرآني	القرآنية	٧	١٨٧
لمعاني	المعاني	٣	١٩٧
يرحركاتها	يرى حركاتهما	٦	١٩٨
والضلالماهو	والضلال ما هو	١٤	٢٠٠
وغيرهو شتى	وصغيرة وشتى	٣	٢٠٣
شئ	شيء	٦	٢٠٤
قدر هو صلى	قدره وصلى	٩	٢١٥
شئ	شيء	٨	٢١٨
الناسيموتون	الناس يموتون	١٠	٢٢٧
دعوهمجهاراً	دعوتهم جهاراً	١٢	٢٢٨
الشيختمت	التي ختمت	١٣	٢٢٨
بالطاعةوللرسول	بالطاعة وللرسول	٥	٢٣٨
الذي	هو ذروة سنام الإسلام	الأخير	٢٣٨
عن المال	ولا يعزب عن المال	١	٢٣٩

إصـدارات مكتبة الفـرقان - عجمـان

١ - القول المفيد في حكم الأناشيد مع فتاوى لعلماء العصر
الشيخ عصام عبدالمنعم المري

٢ - بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف
الشيخ سليم بن عيد الهلالي

٣ - الإرسال في مصطلح الحديث
الشيخ د . / محفوظ الرحمن السلفي رحمه الله

٤ - الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم / لابن قدامة المقدسي
تحقيق د / محفوظ الرحمن السلفي رحمه الله

٥ - نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات
تأليف عبدالرحمن السعدي رحمه الله / اعتنى بها خالد بن عثمان السبت

٦ - المطلب الأسنى من أسماء الله الحسنى مما ورد في السنة وليس في كتاب الله عز وجل
الشيخ عصام بن عبدالمنعم المري

٧ - تعليق التحف على منظومة طرفة الطرف في مصطلح من سلف / أحمد الشنقيطي
تحقيق أبو العالية المحسي

٨ - الجوهر الفريد في نهي الأئمة الأربعة عن التقليد أبي عبدالرحمن فوزي الأثري
تقديم / محمد بن عبدالرحمن الخميس

٩ - كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون الشيخ محمد بن سعود العريفي
تقديم الشيخ عبدالله بن جبرين

١٠ - الوسائل المفيدة للحياة السعيدة
الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله

١١ - الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة
د . / محمد بن عبدالرحمن الخميس

١٢ - نقض قول من تبع الفلاسفة أن الله لا داخل العالم ولا خارجه
د . / محمد بن عبدالرحمن الخميس

١٣ - توضيح مقاصد مصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية
د . / محمد بن عبدالرحمن الخميس

١٤- التوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية لأبي العالية فخر الدين المحسي

تقديم د. / محمد بن عبدالرحمن الخميس

١٥ - الإيضاح والبيان في أخطاء طارق السويدان ومعه فتاوى من هيئة كبارالعلماء

الشيخ أحمد بن عبدالعزيز التويجري ، تعليق الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

١٦ - السراج الوهاج في بيان المنهاج

الشيخ أبو الحسن السليماني ، تقديم جماعة من هيئة كبار العلماء وغيرهم

١٧ - الوصايا السنية للتائبين إلى السلفية

الشيخ أبي عبدالله أحمد بن محمد الشحي

١٨ - الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية

الشيخ أحمد بن يحي النجمي ، تعليق حسن بن محمد الدغريري

١٩ - تنوير العينين في أحكام الأضاحي والعيدين

الشيخ أبوالحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني

٢٠ - إتحاف النبيل بأجوبة أسئلة علوم الحديث والعلل والجرح والتعديل ١/٢

الشيخ أبو الحسن السليماني تحقيق أبو إسحاق الدمياطي

تقديم الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

٢١ - الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول

ويليه رد الجوابُ على من طلب مني عدم طبع الكتاب الشيخ أحمد بن يحيي النجمي

٢٢ - شرح الموقظة للذهبي

الشيخ سليم بن عيد الهلالي

٢٣ - المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال

الشيخ أحمد بن يحيي النجمي ، تقديم الشيخ صالح الفوزان

والدكتور ربيع بن هادي المدخلي

٢٤ - الطريقة المثلى

السيد أبي الخير الطيب نور الحسن خان - تحقيق أبي عبدالباري الأثري

٢٥ - الورد المقطوف

أبي عبدالرحمن فوزي الأثري

٢٦ - الإرهاب

بقلم زيد بن محمد بن هادي المدخلي

٢٧ - رسالة الأفراح لأصحاب الفضيلة

محمد بن إبراهيم ، عبدالرحمن السعدي ، عبدالعزيز بن باز

محمد بن صالح العثيمين

٢٨ - الحد الفاصل بين الحق والباطل
بقلم الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي
٢٩ - منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل
تأليف فضيلة الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي
٣٠ - العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم
بقلم الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي
٣١ - أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره
بقلم الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي
٣٢ - منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع
تأليف الشيخ الفاضل سليمان بن سحمان ، تحقيق: عبدالسلام بن برجس العبدالكريم
٣٣ - نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب
تأليف الشيخ العلامة : ربيع بن هادي عمير المدخلي
٣٤ - صفة صوم النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان
تأليف فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي ، وفضيلة الشيخ علي حسن علي عبدالحميد
٣٥ - الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة
تأليف الدكتور خالد بن علي محمد العنبري
٣٦ - ماذا ينقمون من ابن باز رحمه الله
تأليف الدكتور خالد بن علي محمد العنبري
٣٧ - جماعة واحدة لا جماعات - وصراط واحد لا عشرات
حوار مع الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق
بقلم فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي
٣٨ - الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية
لفضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي
٣٩ - كشف الستارة عن صلاة الاستخارة وعلاقتها بالعقيدة الصحيحية المختارة
تأليف أبي عمر عبدالله بن محمد الحمادي
٤٠ - المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء
تأليف فضيلة الشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي
٤١ - حجج الأسلاف في بيان الفرق بين مسائل الاجتهاد ومسائل الخلاف
تأليف أبي عبدالرحمن فوزي بن عبدالله الأثري
٤٢ - الدُّر الثَّمين في وجوب توقير العُلماء وطلبة العلم في الدين
تأليف أبي عبدالرحمن فوزي بن عبدالله الأثري

٤٣ - الجهد المبذول في تنوير العقول بشرح منظومة وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول. للشيخ العلامة حافظ الحكمي
تأليف فضيلة العلامة الشيخ زيد بن هادي المدخلي ١/٣
٤٤ - المدخل إلى الصحيح للحاكم النيسابوري
تأليف فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي ١/٤
٤٥ - براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة
جمع الشيخ عصام السناني - قرأه وأثنى عليه فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله والشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان
٤٦ - النصر العزيز على الرد الوجيز
للشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي
٤٧ - الأزهار المنثورة في تبيين أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة للشيخ أبي عبدالرحمن فوزي الأثري.
٤٨ - معاملة الحكام في الكتاب والسنة للشيخ الدكتور عبدالسلام بن برجس العبدالكريم
٤٩ - امداد القارىء بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري
فضيلة الشيخ العلامة عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري ١/٤
٥٠ - إنفرادات ابن عباس عن جهود الصحابة في الأحكام الفقهية
تأليف محمد سميعي الرستاقي
٥١ -القول المبرور في جواز الجماعة الثانية للمعذور
كتبه أبو إسحاق إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي
راجعه وقدم له فضيلة الشيخ المحدث أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني